

# غارات نورمان صقلية على مدينة نيس المصرية

( ١١٥٤ - ١١٧٧ م / ٥٤٨ - ٥٧٣ هـ )

محاولة للتفسير

الدكتور

ممدوح محمد مغازي

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها



## غارات نورمان صقلية على مدينة نيبس المصرية

[ ١١٥٤ - ١١٧٧ م / ٥٤٨ - ٥٧٣ هـ ]

### محاولة للنفسير

الدكتور

ممدوح محمد مغازي

مدرس تاريخ العصور الوسطى  
كلية الآداب - جامعة بنها

### مُقَدِّمَةٌ

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب قصة طويلة متقلبة ومتغيرة، كثير من فصولها كان حرباً وضرباً، وقليل من فصولها الأخرى كان علاقات سلمية هادئة أسهمت إسهاماً مباشراً في مسيرة البشر نحو عالم أفضل وأكثر تقدماً وبعداً عن التعصب الديني الذي ساد العصور الوسطى التي نحن بصدددها.

وموضوع هذه الدراسة يحتمل هذين الوجهين من أشكال العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي في ذلك العصر الوسيط، إذ هو يتعلق بظهور النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا والدور الذي لعبوه في عالم البحر المتوسط وحرصهم أولاً على أن تكون صقلية محطة لشن المزيد من الهجمات والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال أفريقيا، وفي ذات الوقت فقد بذلوا كل الجهد لتظل الجزيرة كالصخرة يلعبون من خلالها دور الوسيط التجاري النموذجي في الرحلات التجارية داخل حوض هذا البحر وعالمه في العصور الوسطى<sup>(١)</sup>.

لقد أسس النورمان دولتهم في صقلية وجنوب إيطاليا عن طريق اللصوصية وقطع الطريق، وارتكاب كل أنواع العنف، فلم يكن لشيء قدسية في نظرهم<sup>(٢)</sup> ورغم ذلك فالدولة التي أسسوها تحتل مكانة هامة في تاريخ العصور الوسطى عامة، وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب داخل حوض البحر المتوسط خاصة؛ وهذا يرجع إلى نجاحهم في استبقاء كل العناصر التي كان يمكن أن تفيدهم في بناء حضارتهم وكيانهم بصرف النظر عن الاختلاف عنهم من ناحية الأصل والدين والمذهب<sup>(٣)</sup>.

سعى النورمان كذلك لاستمرار علاقاتهم التجارية والسلمية الطيبة مع الشرق الإسلامي وبصفة خاصة مع الدولة الفاطمية في مصر، وهناك الكثير من الأدلة التي تؤكد ذلك، ورغم هذا فلم ينسوا دائماً طموحاتهم التوسعية ومغامراتهم وأطماعهم اللانهائية، فاخترقوا المعاهدات والهدن، وقاموا بين الحين والآخر بالعديد من الهجمات على مدن النيل والدلتا المصرية، وهي هجمات حملت شكل الغارات المدمرة التي غالباً ما اتسمت بالسلب والنهب وخاصة بعد نهاية عهد روجر الثاني Roger II ( ١١١٢ - ١١٥٤م / ٥٠٦ - ٥٤٨هـ ).

وهذه الدراسة هي محاولة للكشف عن الأسباب والدوافع أو محاولة إيجاد تفسير واضح لهذه الغارات على مصر خاصة مع وجود العلاقات السلمية بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين.

ورغم تأثر العديد من مدن النيل والدلتا المصرية بهذه الغارات وبخاصة دمياط والأسكندرية والتي تناولت كل منها بعض الدراسات سواء كانت غارات من أوروبا عامة أو من نورمان صقلية خاصة<sup>(٤)</sup> فإننا سنقصر هذه الدراسة على الغارات التي قامت على مدينة تنيس المصرية بالذات في الفترة ما بين عامي ١١٥٤ - ١١٧٧م / ٥٤٩ - ٥٧٣هـ وسنحاول التعرف على الإضرار التي وقعت على هذه المدينة والتي أدت بعد ذلك إلى تدميرها نهائياً في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري بحيث صارت من حينها وحتى الآن واحدة من

المدن المندثرة، وهل كانت هناك أسباب لتوجيه هذه الغارات إلى تلك المدينة بالذات عن عمد وقصد، أم أن تلك الهجمات كانت موجهة في الأساس إلى دمياط لأهميتها للصليبيين عامة ولنورمان صقلية خاصة، ثم طالت تيس في ركابها؟ أما عن الحدود الزمنية لهذا الموضوع، وأسباب اختياره، فقد اخترنا الفترة التي تلت وفاة الملك النورماني روجر الثاني Roger II في عام (١١٥٤م / ٥٤٩هـ، وحتى عام ١١٧٧م / ٥٧٣هـ) أي فترة حكم وليام الأول I William (١١٥٤-١١٦٦م / ٥٤٩-٥٦٢هـ) وجزء من حكم وليام الثاني William II (١١٦٦-١١٨٩م / ٥٦٢-٥٨٥هـ) الابن الأكبر لوليام الأول، وهي ذات الفترة التي تمتد من أواخر حكم الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله (٥٤٤-٥٤٩هـ / ١١٤٩-١١٥٤م) وتنتهي بعد سقوط الدولة الفاطمية وتمتد حتى السنوات الأولى من حكم صلاح الدين في مصر حتى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ، أي أنها تشمل فترة الضعف الفاطمي الأخير والذي انتهى بسقوط الدولة في عام ١١٧١م / ٥٦٧هـ وبداية تأسيس صلاح الدين (١١٦٩-١١٩٣م / ٥٦٥-٥٩٠هـ) لدولته الأيوبية والأخطار التي كان يعانيها في هذه الفترة المبكرة من حكمه.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فتعود إلى أن الكثير من الدراسات لم تتعرض لهذه الغارات؛ اعتقاداً منها أنها لا تستحق أن تفرد لها دراسة، أو لنقص المعلومات وعدم اكتمالها حول هذه الغارات وإن وجدت فهي هزيلة وغير كافية نوعاً ما، وخاصة في المصادر الغربية التي كان تركيز أصحابها منصباً بشكل كبير على الأحداث الداخلية التي وقعت في مملكة صقلية، وبصفة أكثر على الأحداث التي وقعت داخل البلاط الملكي النورماني. وإن تحدث مؤلفي هذه المصادر على الأحداث أو العلاقات الخارجية وبصفة خاصة العلاقات مع المسلمين عامة، ومصر وحكامها خاصة، كان حديثهم موجزاً اكتفوا فيه ببعض

الإشارات الواهية التي لا تشف غليل أي باحث يتصدى لدراستها. وهي صعوبة من أكبر الصعوبات التي واجهتني وأنا أحاول تقصي حقائق هذه الغارات وأسبابها؛ ولذا حاولت جاهداً أن أفسر أسباب هذه الغارات ودوافعها وما ترتب عليها من نتائج على شكل العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر في هذه الفترة الزمنية.

بناءً على ما تقدم لم يكن تركيزي منصباً على تفاصيل هذه الغارات، والتي حاولت تجميعها من خلال بعض النقف والشذرات المتناثرة في بطون المصادر العربية بصفة خاصة، والأغرب أن المصدر الوحيد الذي كتبه أحد أبناء المدينة وهو ابن بسام التتيسي<sup>(٥)</sup> لم يشر إلى هذه الغارات من قريب أو بعيد، وهذا يعود إلى أن الجزء الذي عثر عليه من مخطوطته "أنيس الجليس في أخبار تيس" كان صفحاته محدودة أما الجزء الأكبر منه فلم يعثر عليه، أو أنه عاش بعد الأحداث فلم يهتم بذكر هذه الغارات. ولهذا فقد بدأت هذا الموضوع بنبذة مختصرة عن الأوضاع السياسية في كل من صقلية ومصر في تلك الفترة، وأثرها على شكل العلاقات بين الطرفين، وإلى أي مدى تطورت هذه العلاقات إلى حد حدوث مثل هذه الغارات.

ثم تناولت بعد ذلك تفاصيل الغارات التي قام بها النورمان في تلك الفترة، وما أصاب مدينة تيس من جرائها، ولماذا كانت مدينة تيس بالذات هي أكثر المدن المصرية تعرضاً لتلك الغارات من غيرها، ثم كان مسك الختام لهذا الموضوع أفراد صفحات أكثر تفصيلاً للحديث عن دوافع هذه الغارات، وأهدافها والأسباب التي قامت من أجلها.

والله أسأل أن يوفقني إلى عرض هذا الموضوع بشكل جيد عله يكون لبنة بسيطة تسد ثغرة في جوانب العلاقات بين النورمان في صقلية وحكام مصر أبان تلك الفترة، أو يكون أسهماً جديداً للمكتبة العربية في هذا الخصوص.

والله الموفق إلى ما فيه الخير والسداد.

كانت العلاقات بين صقلية ومصر زمن الفاطميين علاقات قوية ومتينة، وهناك من الشواهد الكثيرة ما يؤكد هذه الحقيقة لعل أهمها على الإطلاق؛ أن جزيرة صقلية ظلت خاضعة زمنًا طويلاً لحكم الفاطميين، وهو أمر ساهم في سهولة الاتصال التجاري بها<sup>(٦)</sup> أضف إلى ذلك قربها من السواحل المصرية، إذ أنها تقع في أقصى جنوب شبه جزيرة إيطاليا؛ ولهذا كانت نقطة اتصال بين أوروبا ومصر، ولابد أن تمر بها جميع السفن المسافرة من مصر إلى الساحل الغربي لإيطاليا وإلى جنوب فرنسا وشبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا، والبرتغال)<sup>(٧)</sup>.

ومن قبيل تلك العلاقات الطيبة بين صقلية ومصر تبادل الرسائل والخطابات بين روجر الثاني حاكم صقلية والخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ / ١١٢٩-١١٤٩م)، وكذلك تدخلات روجر لديه للحصول على بعض الامتيازات ليس فقط لتجار صقلية وحدها وإنما لتجار بعض المدن الأخرى المجاورة لممتلكاته والتي طلبت منه أن يتشفع لها لدى الخليفة الفاطمي<sup>(٨)</sup>، بل الأكثر من ذلك أن روجر الثاني عقد معاهدة تجارية مع مصر سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وللاسف لم يصلنا نصها، وهي من أوائل الإتفاقيات التجارية التي وقعت بين قوة غربية ومصر<sup>(٩)</sup>، لم يكتف النورمان بذلك بل أنهم أسسوا لأنفسهم أسطولاً بحرياً قوياً للقيام بالعمليات التجارية على خير وجه<sup>(١٠)</sup>.

هذا عن العلاقات السلمية بين نورمان صقلية والفاطميين في مصر في الفترة السابقة لموضوع البحث. أما عن الأوضاع السياسية في كل منهما خلال فترة بحثنا، نلاحظ أن صقلية النورمانية آنذاك كانت قد وصلت إلى أوج مجدها أيام الملك روجر الثاني الذي أسس مملكته في جنوب إيطاليا والتي أطلق عليها المؤرخون "رجنو" Regno بل اعتبروها أول دولة حديثة في أوروبا<sup>(١١)</sup>. والحقيقة أنه كان حاكماً قوياً، وإدارياً ممتازاً، ودبلوماسياً ماهراً، وقائداً عسكرياً بدا أحياناً

متوحشاً ورغم ذلك فقد ترك خلفائه في حالة من الضعف وعدم القدرة على مواجهة الصعاب والمشاكل أو لم يعد لهم بالقدر الكافي لمجابهة تلك المشاكل والتصدي لها وبصفة خاصة التي كانت تأتيهم من ناحية الإمبراطورية البيزنطية، والقوى الأوروبية الأخرى، والمسلمين، بل حتى البابوية نفسها<sup>(١٢)</sup>.

خلف وليام الأول والده روجر الثاني في حكم صقلية، حيث ألبسه كبار رجال المملكة النورمانية التاج المقدس يوم عيد الفصح في أبريل ١١٥٤م/٥٤٩هـ<sup>(١٣)</sup> وكان ارتقاء وليام للعرش في فترة عصيبة مليئة بالاضطرابات الداخلية والمشاكل العرقية والتهديدات الخارجية، لكنها تفاقمت في عهده بسبب عجزه الكبير، وعدم أهليته، وشكه في المحيطين به؛ لدرجة جعلت بعض المؤرخين يشيرون إلى أنه أصيب بجنون العظمة الذي يعرف حديثاً باسم البرانويا. كما كان كسولاً غير قادر على الاضطلاع بأمر دولته بشكل فاعل، ومما عرف عنه أنه كان يميل إلى حياة الدعة في القصور بين الحريم، وكان كوالده يحب مناقشة المسائل الفلسفية مع العلماء البيزنطيين والمسلمين وهذا صرفه كثيراً عن شئون مملكته أو أنه استخدم أساليب غير ملائمة في الحكم<sup>(١٤)</sup>، اعتمد فيها بالدرجة الأولى على رجله الأول مايودي باري<sup>(١٥)</sup> Mayo De Bary الذي ساهم هو الآخر بأساليبه وأفعاله في زيادة موجة الامتعاظ من حكم وليام الأول والتمرد عليه من قبل بارونات المملكة، ذلك التمرد الذي انتهى بمقتل مايو دي باري، فعهد وليام بالحكومة إلى ثلاثة من وزرائه، وعاش فيما يشبه العزلة حتى مقتله في عام ١١٦٦م/٥٦٢هـ<sup>(١٦)</sup>.

أما وليام الثاني فقد تولى الحكم بعد وفاة أبيه وليام الأول، كانت أمه وصية عليه لأنه كان ماي زال قاصراً، وعندما تولى الحكم بعد ذلك بمفرده كان يفتقر إلى النشاط الذي تميز به النورمان، وخلد إلى حياة الراحة والدعة بين الحريم، ورغم ذلك فقد كان سياسياً ثاقب الرأي، وكان كأبيه ملماً باللغة العربية



والعلوم العربية، وهو الذي شيد كاتدرائية مونريال Monreale وقصر Lacuba لأكوبا<sup>(١٧)</sup>.

لكن عهد وليام الثاني شهد القيام بعدة حملات متتالية ضد المسلمين في شمال أفريقيا ومصر إذ هاجم الأسطول النورماني دمياط سنة ١١٦٩م / ٥٦٤هـ والاسكندرية سنة ١١٧٤م / ٥٧٠هـ، كما هاجم تونس مرتين الأولى سنة ١١٧٤م / ٥٧٠هـ والثانية سنة ١١٧٥م / ٥٧١هـ؛ بل شاركت بعض قطع أسطول وليام أيضاً في الحملة الصليبية الثالثة على الشام (١١٨٩-١١٩٣م / ٥٨٥-٥٨٩هـ)<sup>(١٨)</sup>.

يتضح مما سبق أن الفترة التي حكم فيها وليام الأول، ثم وليام الثاني كانت فترة تمتاز بالاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية أحياناً، وبالهذوء والسكينة - كما حدث أيام وليام الثاني - أحياناً أخرى. بينما على الجانب الآخر كان الحكم الفاطمي في هذه الفترة في حالة يرثى لها من الضعف والفوضى، إذ كانت هذه الفترة تمثل ما عرف بعهد الوزراء العظام، الذين كان الخلفاء معهم في حالة من الضعف والهزال، وكانوا مجرد دمي يحركها هؤلاء الوزراء، ولم يكن نفوذ الخليفة الفاطمي يتعد مجرد الدعاء له على المنابر في خطبة الجمعة ووضع اسمه على السكة، بينما استغل خطر الوزراء ودخلوا في صراعات مع بعضهم بعضاً استخدمت فيها كل المناورات والأفعال السيئة للغاية والتي وصلت إلى حد الاقتتال وسفك الدماء، بالإضافة إلى حالة الإنكسار العام التي أصابت الجميع بعد فقدان الفاطميين كل نفوذ وممتلكات كان لهم بالشام سنة ١١٥٣/٥٤٨هـ على أيدي الصليبيين خاصة بعد سقوط عسقلان آخر المعاقل الفاطمية هناك، بل زاد الطين بلة أن هؤلاء الصليبيين كانوا يتحرقون شوقاً للوصول إلى مصر والسيطرة عليها لتأمين ممتلكاتهم في الشام، على اعتبار أن مصر خط الدفاع

الأول للفاطميين، ومصدر الإمدادات المستمرة للمسلمين المدافعين عن أراضيهم هناك<sup>(١٩)</sup>.

فهل ساهم هذا الوضع المتدني للبلاد في طمع النورمان فيها، أو على الأقل تحقيق بعض المكاسب والغنائم من خلال مجموعة من الغارات التي لم تستهدف إلا السلب والنهب والتدمير؟

والإجابة على هذا السؤال تدفعنا إلى إلقاء مزيد من الضوء على حجم وطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الجانبين علنا نجد فيها بعض الإجابات الشافية.

فيما يتعلق بداية بالعلاقات السياسية بين نورمان صقلية ومصر في تلك الفترة نجد أن كلاً من الطرفين كان حريصاً على المحافظة على هذه العلاقة واستمرارها، وكان حرص النورمان له مبرراته وأسبابه المتعددة منها: أن مصر كانت إحدى الدول التي تمر بها التجارة سواء كانت من الشرق أم الغرب براً وبحراً، كما سعى النورمان للاستفادة من العائدات المالية الكبيرة من وراء التجارة مع مصر، كذلك من الواضح أن قوة النورمان البحرية التي ظهرت عليها من أيام روجر الثاني جعلتهم يشعرون بدورهم التاريخي في حماية التجارة الأجانب وتحويله إلى حقيقة واقعة، إذ أن الفاطميين قد شعروا بقوة هذا الأسطول البحري النورماني<sup>(٢٠)</sup> وأنهم لا قبل لهم بمقاومته فآثروا السلامة وتجنبوا الاحتكاك به وخاصة في حالة الضعف والتداعي التي كانوا عليها، والدليل الواضح على هذا الخوف الشديد والهلع من قوة الأسطول النورماني يبدو جلياً من خلال عبارات الشكر الكثيرة التي جاءت على لسان خلفاء الفاطميين في رسائلهم لملوك صقلية، بعد تحرير مراكبهم من أسر النورمان، والذي تم مقابله تحرير أسرى النورمان لديهم<sup>(٢١)</sup> المهم في نهاية الأمر أن الاتفاقيات والعلاقات قد عادت بالنفع على كل من الجانبين<sup>(٢٢)</sup>.

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية، فقد كانت الأساس في العلاقة بين الطرفين، فإذا كان الفاطميون قد حرصوا على هذه العلاقات رغبة في الاستفادة التجارية من ناحية، ورغبة في التخلص من خطر الممالك الأوربية ومن بينها صقلية التي كان الفاطميون يقدرّون قوة النورمان بها ولا يريدون أن يكونوا خصوما لها من ناحية أخرى، وفي ذات الوقت كان النورمان أكثر حرصاً على استمرار هذه العلاقات مستغلين موقع صقلية الاستراتيجي ورغبتهم في جعلها نقطة انطلاق مثالية على طريق التجارة بين الشرق الإسلامي والغرب اللاتيني<sup>(٢٣)</sup> وكذلك رغبتهم في توفير الاحتياجات المادية من السلع المتنوعة التي يحتاجها أهل الجزيرة، يضاف إلى كل ما سبق حرصهم على تحقيق الثراء الواسع، والحفاظ على دخل البلاط الملكي بالكامل، وملئ الخزائن بالأموال الوفيرة<sup>(٢٤)</sup>.

فيما يتعلق بالسلع والمنتجات التي كان يتم تبادلها بين البلدين مصر وصقلية فقد كان أولها الأرز الذي كان غذاءاً رئيسياً لسكان البحر المتوسط عامة ولسكان صقلية خاصة وكذلك الجبن فقد كان أحد الأطعمة الثابتة لفقراء الناس، وشاركت جزيرة كريت جزيرة صقلية في تصديره وبصفة خاصة إلى مصر<sup>(٢٥)</sup> بينما كانت الزيوت بمختلف أنواعها من السلع التي جرى تصديرها لمصر أيضاً<sup>(٢٦)</sup>.

يضاف إلى ذلك سلع أخرى تم تبادلها بين الجانبين مثل السكر، والبندق، واللوز والفواكه مثل الليمون والبرتقال، وكذلك القصب والنخيل، وأيضاً المنتجات الحيوانية، إضافة إلى التوابل والفلل، والزنجبيل، والقرنفل وغيرها<sup>(٢٧)</sup>. أما المعادن والأخشاب، فقد أشارت المصادر إلى أن الحديد لم يكن متوافراً في مصر، فجرى استيراد كميات قليلة منه من صقلية<sup>(٢٨)</sup> وصدرت صقلية إلى

مصر أيضاً الذهب والشب والكحل والعاج والرصاص والحلي والفضة والتوتيا وكذلك أحجار الكهرمان<sup>(٢٩)</sup>.

ولما كانت الأخشاب المحلية في مصر لا تكفي لصناعة السفن اللازمة للأسطول البحري فقد جرى استخدام أخشاب الصنوبر المستوردة من صقلية والمغرب<sup>(٣٠)</sup>.

كذلك كانت صقلية من أهم المساهمين في إنتاج وصناعة الحرير الفاطمية، لإمدادها مصر بما تحتاج إليه من حرير خام<sup>(٣١)</sup> كما جلبت مصر من صقلية الكتان والثياب المنقوشة<sup>(٣٢)</sup> والكسوات والملابس الفاخرة كالقلنسوات المصنوعة من الفراء الأسود، كما جرى تصدير بعض أنواع الجلود الجيدة الصنع<sup>(٣٣)</sup>.

أما فيما يتعلق بالتأثيرات الثقافية المتبادلة بين الجانبين فقد ظهرت بداية بشكل واضح في التأثيرات الإسلامية العربية على ملوك النورمان في صقلية مثل: اتخاذ ملوك النورمان بعض الألقاب العربية، فوليام الأول حمل لقب الهادي بالله، أما وليام الثاني فقد حمل لقب المستعز بالله<sup>(٣٤)</sup>، وكان هذان الملكان يتحدثان العربية بطلاقة، كما أن الحرس الخاص بوليام الأول كان به بعض السودانيين تحت إمرة قادة مسلمين<sup>(٣٥)</sup>، ولم يخجل هذان الملكان من إطلاق بعض العبارات العربية على حدائقهم ومبانيهم مثل "بسم الله الرحمن الرحيم، قف وانظر فسترى عملاً رائعاً يخص أحسن ملوك الأرض، وليام الثاني"<sup>(٣٦)</sup>.

يضاف إلى ما سبق أن سادة النورمان في صقلية اختفظوا بالدواوين التي نقلوها من القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية تأثراً بأولئك الفاطميين مثل ديوان الطراز، وديوان المظالم، وديوان التحقيق المعمور<sup>(٣٧)</sup>.

كما ظهر بعض علماء وأدباء المسلمين في صقلية من الذين عاشوا وعملوا بها خلال الحكم النورماني، وإن كانوا قليلي العدد بصفة عامة<sup>(٣٨)</sup>.

يتضح من كل ما سبق أنه كان هناك تأثراً بالثقافة العربية الإسلامية عند ملوك صقلية النورمان في شتى النواحي مثل نظم الحكم والإدارة والألقاب

وغيرها، يضاف إلى ذلك وجود علاقات اقتصادية وتجارية متنوعة بين نورمان صقلية ومصر. فما الدافع لمثل هذه الغارات ؟

لا نستطيع الإجابة بشكل صريح على مثل هذا التساؤل، والحل أن نستعرض تفاصيل تلك الغارات وبالأخص تلك التي اتجهت إلى مدينة تنيس فقد نجد ضاللتنا المنشودة أو نجد تفسيراً مرضياً لأسباب اندلاع هذه الغارات وأهدافها.

أولاً : غارة نورمان صقلية على تنيس ١١٥٤م / ٥٤٩هـ : تضاريت روايات المصادر العربية حول توقيت حدوث هذه الغارة، فابن الأثير جعلها في عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، فيما أشار ابن القلانسي إلى وقوع هذه الغارة في جمادى الأول عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، ونقلها عنه أبو شامة، بينما أشار المقرئ إلى أن هذه الغارة كانت في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسائة للهجرة الموافق لسنة ألف ومائة وخمس وخمسون للميلاد<sup>(٣٩)</sup>.

ونحن نميل إلى رأي ابن القلانسي لقربه من الأحداث من ناحية، ولأنه أشار من ناحية أخرى إلى قيام الأسطول المصري بغزو السواحل الشامية في العام التالي ٥٥٠هـ / ١١٥٥م حيث أغار على ميناء صور، وجعل ما قام به الأسطول الفاطمي رداً على الغارة الصقلية في العام السابق ٥٤٩هـ / ١١٥٤م<sup>(٤٠)</sup>.

هذا التناقض في المصادر العربية جعل أحد المؤرخين المحدثين يشير إلى أن هذه الغارة استمرت لمدة عام من مارس ١١٥٣م إلى ١٧ مارس ١١٥٤م وهو زعم غريب ليس له ما يبرره وليس هناك أدلة أو شواهد تؤكد، خاصة وأن هذه الغارات والغارات الأخرى التي تلتها كانت غارات سريعة عنيفة القصد منها السلب والنهب والحصول على أكبر قدر من الغنائم في أقل وقت ممكن<sup>(٤١)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن بعض المؤرخين قد ربطوا بين نجاح النورمان في هذه الغارة، وما حصلوا عليه من غنائم بعدها، وبين نجاحهم في العام التالي ١١٥٦م / ٥٥١هـ في إلحاق هزيمة ساحقة بالبيزنطيين في معركة نيجربونت Negroponte<sup>(٤٢)</sup>، حيث أشار المؤرخ البيزنطي كيناموس Kenamos إلى التفوق العسكري النورماني، وقوة الأسطول البحري سواء في عدد السفن أو تعداد القوات النورمانية<sup>(٤٣)</sup> وهذا التزامن في تاريخ الغارتين يوحي بأن الانتصار البحري الكبير على البيزنطيين في نيجربونت تم بعد عودتهم من مصر بفترة وجيزة<sup>(٤٤)</sup>.

واتصالاً بما سبق من الممكن افتراض قيام الأسطول النورماني بغارتين على مدينة نتيس وليس غارة واحدة، وأن أحد هاتين الغارتين أغفلتها كل المصادر العربية ما عدا المقرئزي<sup>(٤٥)</sup>.

أياماً كان الأمر فالثابت تاريخياً أن هذه الغارة الأولى وقعت بالفعل في عام (٥٤٩هـ - ١١٥٤م) في عهد الخليفة الفائز بنصر الله ٥٤٩-٥٥٥هـ / ١١٥٤-١١٦٠م. كما ذكرنا سابقاً وأنها توجهت في البداية إلى مدينة نتيس، وكان واليها آنذاك رجل يدعى الأوحى بن تميم، وهو من كبار الأعيان، ونظراً لخوف الصالح طلائع بن رزيك منه ومن قوته فقد نقله من نتيس ودمياط إلى أسبوط وأخميم بعد ذلك.<sup>(٤٦)</sup>

أما باقي تفاصيل هذه الغارة فتشير إلى أن سفن الأسطول النورماني كان عددها حوالي ستين سفينة<sup>(٤٧)</sup> وصلت إلى دمياط أولاً فعاث فيها النورمان فساداً وقتلوا كثيراً من الأهالي، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى نتيس وأنزلوا بأهلها أشد الإيذاء، خاصة وقد دخلت سفن الأسطول الصقلي المدينة على حين غفلة من أهلها- الذين لم يكن قد وصلتهم بعد أنباء سقوط حامية دمياط واستسلام أهلها- فقتلت وأسرت وسبت ونهبت المدينة تماماً طيلة ثلاثة أيام ثم تركتها بعد ذلك قاعاً صفصفاً، بل غنم رجال الأسطول الصقلي كل ما كان بالمدينة من غنائم

كثيرة<sup>(٤٨)</sup>. بينما أشار غيره من المؤرخين إلى كثرة السبايا من هذه المدينة، والذين بيعوا رقيقاً وكذلك كل ما نهب في بلاد الشام، كما أن الأسطول النورماني عاد محملاً بالذهب والفضة والثياب القيمة وهو أمر يتفق وشهرة تنيس الخاصة بالمنسوجات الفخمة<sup>(٤٩)</sup>.

ومن أغرب وقائع هذه الغارة أن النورمان أسروا الأقوياء، وقتلوا الضعفاء، فهل يمكن اعتبار أسر الأقوياء من أهالي تنيس لاستخدامهم في المبادلة إذا ما نجح الأهالي في أسر بعض جنود النورمان، أو أن هذه المبادلة كانت لأسرى من تجار صقلية وقعوا من قبل في أيدي سلطات تنيس؟ وهل كان هؤلاء الأقوياء من الصنائع وبالتالي حاول النورمان الاستفادة من عدم قتلهم فنقلوهم أسرى وأحياء إلى جزيرة صقلية، خاصة أن عاداتهم سمحت لهم أن يفعلوا هذا مع البيزنطيين في مواقف سابقة<sup>(٥٠)</sup> أما عن مصير باقي أهالي تنيس فإن من نجح في الهرب فقد سلم، خاصة وقد لاذ كثير منهم بالبحر خوفاً وهلعاً ثم عادوا بعد رحيل الأسطول، ومن بقي فقد ضاقت صدورهم وحزنوا حزناً شديداً لما أصاب مدينتهم، كما ذكرت المصادر الأخرى أن الأسطول النورماني تحرك بعد هذه الأحداث الدامية إلى رشيد والاسكندرية<sup>(٥١)</sup> وعندما سمع للنورمان بقرب قدوم الأسطول الحربي المصري ولوا الأدبار هاربين<sup>(٥٢)</sup>.

والملاحظ أن معظم معلوماتنا عن هذه الغارة وما يتلوهها من غارات جاءت من خلال المصادر العربية، بينما لا أثر لهذه الغارة في المصادر اللاتينية، فكتاب فالكاندوس Falcandus الذي خصصه للحديث عن حياة وليام الأول وأعماله، كان جل تركيزه منصباً على الأحوال الداخلية لنورمان صقلية - في عهد هذا الملك - بصفة خاصة، دون إبراز أي اهتمام بسياساتهم الخارجية فيما يخص علاقاتهم بمصر الفاطمية وهو أمر يثير الدهشة والاستغراب لأن نفس المؤرخ تحدث بشئ من التفصيل عن علاقات نورمان صقلية في عهد وليام

الأول بكل من البيزنطيين والقوى الإسلامية في الشمال الإفريقي<sup>(٥٣)</sup> فهل كان ذلك لجهله بأحداث مصر في تلك الفترة، أم عدم تقديره لقيمتها ومكانتها مع علمه بحالة الضعف التي تمر بها؟ الأمر يبدو محيراً ولا نستطيع أن نصل فيه إلى رأي واضح وإن كان الأقرب هو أنه لم يكن يعرف مصر وليس له أي دراية بجغرافيتها وأنه لم يزرها من قبل أو بعد.

ثانياً: غارات نورمان صقلية على تنيس عامي ١١٧٥ و١١٧٧ م / ٥٧١ و٥٧٣ هـ:

في هذه الفترة الثانية للغارات كانت الدولة الفاطمية قد زالت من الوجود تماماً في سنة ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ، وتولى حكم مصر بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي الذي نجح في تأسيس الدولة الأيوبية والتي صار عليها أن تتصدى للصليبيين والنورمان وغيرهم من أعداء البلاد<sup>(٥٤)</sup>.

على الجانب الآخر فإن هذه الفترة الثانية من الغارات تمت في عهد ملك النورمان وليام الثاني (١١٦٦-١١٨٩ م / ٥٦٢-٥٨٥ هـ) ابن الملك وليام الأول الذي كان قد توفي عام ١١٦٦ م / ٥٦٢ هـ، ويعرف وليام الثاني في التاريخ بوليام الطيب، وكان عمره حين تولى العرش لا يتعد أربعة عشر عاماً، ولذا فقد بدأ حكمه الحقيقي في عام ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ، حيث كانت الخمس سنوات الأولى من حكمه في وصاية والدته مارجريت Margrate<sup>(٥٥)</sup>.

بدأ وليام الثاني نشاطه ضد المسلمين عامة بتوجيه أساطيله وحملاته عبر البحر المتوسط - رغم معارضة بعض وزرائه له - وكان من بين هذه الحملات تلك التي تكررت على سواحل مصر فأغارت أساطيله أولاً على دمياط سنة ١١٦٩ م / ٥٦٥ هـ، ثم أغارت على تنيس مرتين في الفترة ما بين ٥٧١ و٥٧٣ هـ / ١١٧٥ و١١٧٧ م<sup>(٥٦)</sup>.



بالنسبة لغارة ٥٧١هـ / ١١٧٥م، فقد وصل إلى مدينة تنيس حوالي أربعين شاتية من شواني صقلية، وفرضوا عليها حصاراً لمدة يومين ثم ألقوا عنها<sup>(٥٧)</sup>.

بالنسبة لغارة سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م فقد حدثت معركة ضارية شارك فيها أربعين شينياً صقلياً وبعد يومين من القتال تمكنوا من السيطرة على تنيس، وكان القائد المسلم المدافع عن تنيس آنذاك يدعى محمد بن إسحاق الذي كان النورمان قد قطعوا عليه طريق العودة إلى سفنه هو ورجاله، فتقهقر إلى مصلى بالمدينة على الطريق أو إلى مكان خلاء يؤدي فيه الصلاة، وعندما جن الليل انقض على النورمان بالمدينة وهم في حالة من النشوة بما حققوه وما سبوه وحصلوا عليه من الغنائم، وهم في هذه الحالة لم يتوقعوا أن يهاجمهم أحد من سكان المدينة، بيد أن محمد بن إسحاق نجح من خلال هذا الانقضاض في القبض على مائة وعشرون رجلاً منهم وقطع رقابهم، فلما استفاق النورمان طاردوه حتى المصلى مرة أخرى، وقاتلوه بضراوة لكنه تراجع ومعه بعض أصحابه إلى دمياط هرباً، بينما بقي سبعون آخرون من أصحابه يحاربون في المصلى، وكان طبيعياً أن تحصدهم سيوف النورمان، ومن بقي منهم حياً سار معهم إلى دمياط، ثم عاد النورمان إلى تنيس مرة أخرى وألقوا عليها النار فأحرقوها. وخرجوا منها بكثير من الغنائم التي امتلأت بها أيديهم والعديد من الأسرى الذين ظفروا بهم خلال إقامتهم التي استمرت أربعة أيام في تنيس، ومن هناك ساروا في طريقهم إلى الاسكندرية بهدف الإغارة عليها أيضاً<sup>(٥٨)</sup>.

يتضح مما سبق أن مدينة تنيس كانت القاسم المشترك في تلك الغارات النورمانية الثلاث، والتي على أثرها تعرضت المدينة للتدمير والتخريب والسلب والنهب أكثر من غيرها من مدن مصر الشمالية الأخرى التي نالتها بعض آثار

تلك الغارات. وهنا يثور تساؤل عن السر في استهداف هذه الغارات لتنيس وتركيزها عليها أكثر من غيرها بشكل واضح.

حقيقة الأمر فإن هذا يعود إلى أهمية المدينة من الناحيتين الحربية والتجارية، وهذه الأهمية جعلتها تتعرض لتلك المخاطر التي جعلت حكام المدينة يعنون كل العناية بتحصينها وتزويدها بالحاميات التي تدافع عنها، بل الأكثر من ذلك أهمية أن السفن الحربية المصرية المشحونة بالآلات والأسلحة كانت تمر من أربعة ثغور مصرية كانت تنيس واحدة منها وهذا أكبر دليل على مكانتها الحربية<sup>(٥٩)</sup>.

أما الشهرة التجارية لتنيس فتعود إلى أن موقعها يمتاز بالتوسط بين موانئ مصر الشمالية الشرقية في العصور الوسطى، الأمر الذي أكسبها دوراً هاماً قامت به خير قيام في تجارة مصر الخارجية، وصارت من خلاله أيضاً أهم الموانئ المصرية المرتبطة بالموانئ الشامية وموانئ شرقي البحر المتوسط. يضاف إلى ما سبق ما نقله الدكتور أيمن فؤاد سيد عن المخزومي في قوله أن تنيس كانت واحدة من المدن المهمة التي تستأدى عندها ضريبة الخمس، مثلها في ذلك مثل دمياط والإسكندرية رغم قلة المترددين عليها والأكثر وضوحاً من ذلك أن تنيس كان يعقد بها بيع بالمزاد العلني للبضائع الواردة عليها يعرف "بخلق الخمس"<sup>(٦٠)</sup> وقد أشار اليعقوبي إلى أنها كانت مركز أو مرسى المراكب الواردة من الشام والغرب<sup>(٦١)</sup>.

كذلك ساهمت شهرة تنيس الصناعية وتخصصها في صناعة المنسوجات في زيادة مكانتها التجارية، فقد كان معظم أهلها من الحاكة، وكانوا مياسير وذو ثراء عريض<sup>(٦٢)</sup> وقد ذكر ابن بسام محتسب المدينة أنه كان في عهده من دور الطراز بها حوالي خمسة آلاف دار، يعمل بها عشرة آلاف عامل، سوى من يطيب أو يرقم من ذكر أو أنثى<sup>(٦٣)</sup> وقد انتجت مصانع تنيس ثياباً لم يكن لها نظير في الدنيا. وقد يكون من أسباب الهجوم النورماني المتتالي عليها رغبة

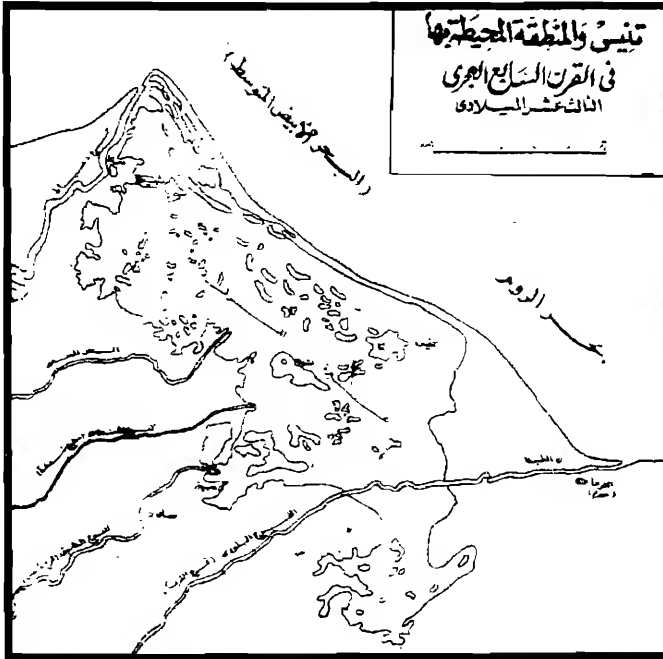
النورمان في الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك المنسوجات عالية القيمة جيدة الصنعة<sup>(٦٤)</sup>.

من الناحية الحربية فبحكم موقع تنيس كجزيرة وسط بحيرة تنيس فقد كانت قاعدة مهمة للأسطول الإسلامي، وكانت تعتمد على الأسطول في الدفاع عن نفسها، وقد ذكر ناصر خسرو أنه شاهد جيشاً كاملاً بالسلاح مقيماً في المدينة، وكان هذا الجيش عبارة عن حامية عسكرية مستديمة، قد تكون فعلاً من أسباب زيادة الإغارات النورمانية عليها<sup>(٦٥)</sup>. وقد أشار الإدريسي إلى أن بحيرة تنيس من عوامل حصانة المدينة لأنها تشغل مساحة ثلاثمائة ميل، وبها خمسين جزيرة ينبت فيها قصب الغاب كما تتصل الجزيرة بعدد آخر من البحيرات الصغيرة التي تزيد من حصانة المدينة<sup>(٦٦)</sup>.

هذا الموقع الاستراتيجي ذو الحصانة والموقع الجزري الذي يتوسط موانئ مصر الشمالية الشرقية جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي، وهو دور أجمعت على أهميته المصادر حتى لاقت المدينة مصيرها النهائي في العصر الأيوبي، وهو نفس الدور الذي وجه أنظار العالم الغربي المعادي لمصر ومنه النورمان بطبيعة الحال، مما جر عليها الغزو الأجنبي الذي عاد عليها بالخراب والتدمير<sup>(٦٧)</sup>.

ونظراً لخطورة موقع المدينة وأهميته انتدب السلطان صلاح الدين عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م لعمارة تنيس وتجديد الآلات بها بعض عماله وخاصة عندما اشتد خوف الأهالي من الإقامة فيها، فأمر بعمارة سورها القديم على أساساته الباقية، إلا أنه بعد ذلك لم يجد مفرأ من إخلاء المدينة ونقل أهلها إلى دمياط، في شهر صفر سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م، حيث أخليت المدينة من الذراري والأطفال ولم يبق سوى المقاتلة في قلعتها. وكان اخلاء المدن أمام هجوم الأعداء سياسة عسكرية دفاعية صار عليها حكام الأيوبيين وأولهم صلاح الدين<sup>(٦٨)</sup>.

أما مصير المدينة النهائي -النابع من خطورة موقعها وتعرضها الدائم للغارات الصليبية وغارات نورمان صقلية- فقد كان في عهد الملك الأيوبي الكامل ناصر الدين محمد ( ٦١٥-٦٣٥هـ / ١٢١٨-١٢٣٨م ) إذ أمر في شوال من عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م بهدم المدينة تماماً، فاستمرت خراباً ولم يبق منها إلا رسوماً وسط البحيرة، وظلت المدينة بعد اندراسها مجرد أنقاض سجلت بمصلحة حفظ الآثار العربية ١٩١٠م<sup>(٦١)</sup>. ولقد أشار أحد المؤرخين المحدثين تعليقاً على ما حدث للمدينة من تخريب بأن العامل الجغرافي قلل من أهمية تنيس ثم قضى عليها العامل التاريخي؛ ذلك أن تحول بحيرة تنيس إلى بحيرة ضحلة بالتدريج منع السفن الكبيرة من الوصول إليها وهو ما جعل الكامل ورجاله يقررون هدمها إلى الأبد<sup>(٧٠)</sup>.



خريطة تنيس في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

من كل ما تقدم وبعد أن استعرضنا أشكال العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين والأيوبيين، وبعد تعرفنا على أسباب توجه هذه الغارات إلى مدينة تنيس بالذات لم يبق أمامنا سوى محاولة البحث والتقصي عن الأسباب والدوافع الحقيقية التي قامت بسببها تلك الغارات.

يمكن إجمال أسباب ودوافع قيام تلك الغارات في الأمور التالية:

أولاً: الطموحات النورمانية التوسعية الكبرى:

كانت هذه الغارات جزءاً من سياسة التوسع التي سعى إليها روجر الثاني في أحلامه<sup>(٧١)</sup> وتبناها أولاده من بعده، خاصة وهم أبناء جنس مشاغب سعى دائماً للبحث عن مجالات جديدة للمجد والتوسع، واعتمد في طموحاته الكبيرة هذه على سياسة مؤداها الاستفادة من كل العناصر التي كانت موجودة في جزيرة صقلية قبل وصولهم، فلم يرفضوا شيئاً من حضارة المهزومين. وهذا المذهب التوفيقي بين الحضارات وتسامح حكام النورمان في صقلية مع أتباعهم كان اللبنة الأولى من لبنات التوسع النورماني، وصولاً إلى مزيد من السيطرة والتسلط، رغم أن وليام الأول كثيراً ما كان يفكر في مشروعات بعيدة لا طائل منها<sup>(٧٢)</sup>، مثل هذه الغارات غير المبررة والتي اتفق وقوعها مع الخطة التي نفذها رجاله بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور فقط وكان هدفها ضرب المعازل الإسلامية ومنها تنيس بالطبع<sup>(٧٣)</sup>.

لكن رغم هذه السياسة التوفيقية، فقد كان التعصب الديني والعنصرية من جانب حكام صقلية من النورمان واضحاً كما أنه يمتاشي مع الطابع العام لتلك العصور الوسطى، ذلك التعصب الذي دفعهم دفعاً إلى محاولة الاستفادة من حالة ضعف الدولة الفاطمية وحكامها، ورغبتهم في استمرار سياسة المسالمة والود مع النورمان تلك السياسة النابعة من عدم قدرتهم على مقارعة كفاءة وقدرات النورمان البحرية والحربية، وبهذا توافرت لأولئك النورمان الظروف المواتية

التي مكنتهم من بداية حربهم التوسعية على حساب المسلمين وأولهم الفاطميون في مصر<sup>٧٤</sup>.

وفيما يتعلق بتلك الطموحات أيضاً نجد أن الحكام النورمان في صقلية كان غرضهم بناء أسطول كبير، والاحتفاظ بجيش قوي لمقاومة أعداءهم، وانتهاز الفرص لمزيد من الإنتصارات والحصول على ممتلكات جديدة والهدف في النهاية واضح وهو التوسع بما يحقق لهم مزيد من الرفاهية، ومن تلك الفرص التي انتهزوها أو خلقوها لأنفسهم الإغارة على تيس<sup>(٧٥)</sup>.

ومن قبيل هذه الطموحات التوسعية أيضاً حرص حكام صقلية النورمانيين على تأمين مواصلاتهم البحرية، لضمان وصول متاجر الشرق التي يحتاجونها، وفي هذا الخصوص عملوا على ضرورة تأمين الإبحار النيلي لمراكبهم وبضائعهم التي استوردوها من الشرق البعيد أو من الهند، خاصة وهي تمر عبر نهر النيل على مراكب شراعية توصلها إلى البحر المتوسط لتحملها سفن النورمان الكبيرة إلى صقلية<sup>(٧٦)</sup> ولذا كان تمسكهم بالقيام بتلك الغارات على تلك المدن الواقعة على نهر النيل مثل تيس وغيرها ضرورة ملحة بين الحين والآخر وهذا افتراض صدق عليه وأكدته حرصهم على مصالحهم التجارية مع مصر وشرق البحر المتوسط، كما سبق أن ذكرنا<sup>(٧٧)</sup>.

ثانياً: كانت الغارات جزءاً من استراتيجية النورمان الحربية والسياسية في شمال أفريقيا:

هذا الأمر متصل بموضوع الطموحات التوسعية السابقة، فقد كانت كل من صقلية وشمال أفريقيا منطقة أمان للأخرى وامتداد لها في الجوار، كما كانت كلتيهما موقعاً استراتيجياً على جانب كبير من الأهمية في البحر المتوسط، وبالمثل كان نشاط أي قوة منهما يمثل تهديداً مباشراً لنشاطات الأخرى وممتلكاتها. فعندما نجح النورمان في إنشاء رأس كوبري من صقلية في شمال أفريقيا أحكموا قبضتهم على البحر المتوسط تماماً؛ بل اعدوا العدة لقطع الصلة

بين الفاطميين في بلاد المغرب والفاطميين في مصر، لكن رحيل روجر الثاني ساهم في اضمحلال وتهاوي تلك الممتلكات النورمانية في ذات المنطقة<sup>(٧٨)</sup>.

كذلك ساهم ظهور الموحدين ( ٥٤١-٦٦٨ هـ / ١١٤٧-١٢٦٩ م ) كقوة لها تأثيرها على مجرى الأحداث في شمال أفريقيا في زيادة قلق كل من وليام الأول ووليام الثاني اللذين كان لديهما الرغبة في تنصير مسلمي جزيرة صقلية واليهود الذين كانوا بها أيضاً. لكن تعصب وليام الأول بالذات ساهم في سوء التعامل مع المسلمين بالجزيرة إلى حد التكتيل بهم، مما دفعهم إلى الاعتصام بالغابات والجبال بمدن الجنوب ذات الأغلبية المسلمة<sup>(٧٩)</sup> وإن كان بعض المسلمين هناك قد اضطروا تحت وطأة هذا الضغط إلى العمل في الجيوش النورمانية، وقد يكون بعض هؤلاء كمن عملوا كأدلاء لهم ارشدهم على بعض المناطق الإسلامية التي هاجموها، وقد يكون من بينها بالطبع تيس، حيث أشارت Brik إلى أن بعض المسلمين قد ساهموا في العمليات العسكرية والمغامرات التي قام بها النورمان خارج الجزيرة<sup>٨٠</sup> بل أن فالكنندوس نفسه أشار إلى بعض المهندسين العسكريين من العرب المسلمين الذين عملوا لدى النورمان بل وصنعوا لهم المجانيق وأبراج الحصار المتحركة<sup>(٨١)</sup>.

وفي سياق هذا الإطار أيضاً يمكن اعتبار الغارات النورمانية على تيس استمراراً طبيعياً لتقائماً للانتصارات الأخرى التي أحرزها النورمان في شمال أفريقيا<sup>(٨٢)</sup>.

والجدير بالذكر أيضاً، وفي إطار سياسة النورمان التوسعية في شمال أفريقيا بدا واضحاً أنهم رغبوا في إرهاب هؤلاء السكان ، و معهم سكان مصر من المسلمين من وراء هذه الغارات وكذلك اختبار مدى قوة دفاعاتهم؛ والدليل على ذلك ما أشار إليه أبو العافية من قيام أسطول صقلية بفرد إتوات على كل الموانئ التي يسافرون إليها سواء كانت خاضعة لهم أم لا، وذلك على كل الطرق

والمضايق على طول البحر المتوسط<sup>(٨٣)</sup> كذلك فقد كان من ضمن أهداف هذه السياسة النورمانية في شمال أفريقيا - من خلال استخدام أساطيلهم البحرية القوية- الحصول على المزيد من المكاسب التي عجزوا عن الحصول عليها بالطرق السلمية<sup>(٨٤)</sup>.

ثالثاً: تطوير المصالح التجارية والرغبة في إزالة عوائق التبادل التجاري، في حوض البحر المتوسط بكامله:

حرص النورمان على التوسع في شمال أفريقيا، وإرهاب القوى الإسلامية القريبة من جزيرة صقلية لحماية مصالحهم التجارية وتطويرها بما يؤدي إلى جعل صقلية قوة فاعلة في البحر المتوسط، تمكنهم من فرض نفوذهم على مداخل ومخارج هذا البحر<sup>(٨٥)</sup>.

في ذات الوقت أيضاً ورغم أن الحكومة الفاطمية كانت في آواخر عهدها إلا أنها تخلت عن سلبيتها وحاولت استعادة سيادتها الإسلامية السابقة على البحر المتوسط، وكان من أهم الإجراءات التي لجأت إليها في هذا الخصوص تقليل فتح موانئها وعاصمتها للتبادل التجاري مع الغرب، وتقليص الامتيازات التي تمنحها لتجار تلك الدول الغربية في البحر المتوسط، بل الأكثر من ذلك أنها قصرت نشاطها التجاري وحددته في مدن بعينها هي الاسكندرية ودمياط، وقد تبلورت هذه السياسة الحاسمة ما بين عامي (٥٤٩ - ٥٥٢ هـ / ١١٥٤ - ١١٥٧ م) أو ما بعد ذلك بقليل، والملاحظ أن الغارة الأولى على تيبس حدثت في غضون تلك الفترة، لكن يمكن القول إجمالاً أن العصر الفاطمي كان يتسم بتسامح مع التجار الأجانب لم يشاهد فيما بعد، وهو عصر اتسم بالتفتح والحرية<sup>(٨٦)</sup> وما هكذا كان الحال عندما جاء صلاح الدين الذي اتخذ عدة تدابير لتقييد حرية تنقل التجار في داخل البلاد؛ منها أنه قضى على أمل الغرب ومنهم بالطبع النورمان في الحصول على فندق بالقاهرة كما وعدهم الخليفة الفاطمي من قبل عام ٥٤٩ / ١١٥٤ م<sup>(٨٧)</sup>.



والسؤال هنا، هل كانت هذه القيود سبباً في مضايقة نورمان صقلية؟ واقع الأمر إن رغبة النورمان في إحداث ضغط لحماية تجارتهم في الشرق يؤكد فعلاً أنهم شعروا بالضيق من هذه القيود بل ورغبوا في كسرها<sup>(٨٨)</sup> وفي هذا الخصوص يعتقد أماري أن الحروب النورمانية التي اشتعلت ضد الفاطميين وبالتحديد بعد وفاة روجر الثاني كان الدافع لها هو التجارة، ومحاولة الفاطميين إلغاء الامتيازات التجارية التي حصل عليها النورمان من قبل بسبب تدخلات بيزا وغيرها من المدن التجارية الإيطالية<sup>(٨٩)</sup>.

لكن في نهاية المطاف نجح نورمان صقلية في السيطرة على طرق التجارة في البحر المتوسط، وزادت قدرتهم على تحسين أداء المواني الصقلية وإعدادها لاستقبال السفن التجارية، عن طريق بناء مستودعات ضخمة بها لتخزين البضائع، وبذا نجح النورمان في القضاء على السيطرة الإسلامية على هذا البحر الذي صار بحيرة نورمانية، ومن خلال ذلك سعوا لكسب المزيد من الإمتيازات التجارية في الشرق.<sup>(٩٠)</sup>

لكن هذا التطور سيقودنا بالتأكيد للحديث عن القوى المنافسة للنورمان سياسياً وتجارياً مثل الإمبراطورية البيزنطية، والمدن الإيطالية وبخاصة بيزا، ودورها في إفساد العلاقات بين صقلية ومصر. رابعاً: دور القوى السياسية الأخرى المنافسة في إفساد العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر:

رغم العلاقات السلبية التي جمعت بين نورمان صقلية وحكام الشمال الأفريقي إلا أن النورمان على الجانب الآخر كانوا حريصين على احترام تعهداتهم معهم حتى يتسنى لهم تحقيق سيادتهم الكاملة على البحر المتوسط سواء كان ذلك بالقوة أو بالعلاقات السلمية، بيد أن هذا الأمر أقلق القوى الأخرى المنافسة للنورمان والمتواجدة في هذا البحر، وهي القوى التي لم يكن من

مصلحتها تزايد السيطرة النورمانية، ولذا سعت جاهدة لمحاولة تقويض هذا التفوق وهز أركانه بالحروب المباشرة تارة، وبإفساد علاقات النورمان بالعالم الإسلامي المتمثل في الشمال الأفريقي ومصر تارة أخرى<sup>(٩١)</sup>.

ففيما يتعلق بالدولة البيزنطية فقد اتخذ أباطرتها إجراءات مباشرة ضد النورمان درءاً لخطرهم، فقاموا كثيراً بحشد وتعبئة مستمرة لجيوشهم في منطقة الأدریاتيك من جهة، و لجأوا إلى مضايقة النورمان والحد من قوتهم وسيادتهم البحرية بطرق غير مباشرة من جهة أخرى ، وذلك عن طريق التقرب من الفاطميين في مصر ومحاولة تقليل حماسهم للنورمان والحد من الامتيازات التي منحوها لهم، والدليل على ذلك أن المعاهدات التي عقدت بين الدولة البيزنطية والفاطميين تضمنت - من ضمن ما تضمنته - ألا يقدم الفاطميون أية مساعدة لصاحب صقلية في حربه ضدهم. ولم يكتفوا بذلك بل وصل الأمر إلى حد طلب المساعدة المباشرة من الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي لنجدهم من صاحب صقلية وما فعله بهم<sup>(٩٢)</sup>.

ولا شك أن طلب المساعدة هذا يعد واحداً من الأدلة التي تؤكد قيام النورمان بالغزو والإغارة على المدن والموانئ المصرية ومنها تنيس بالطبع، فهذا الطلب بالتحديد كان في عام ٥٥٣هـ / ١١٥٨م أي بعد الغارة الأولى سنة ١١٥٤م / ٥٤٩هـ بأربع سنوات، وقبل الغارة الثانية سنة ١١٧٥م / ٥٧١هـ وما تلاها من غارات. بما يعني أن قيام النورمان بالإغارة على تنيس يمكن أن يكون رد فعل لهذه المساعدات والمراسلات، رغم أن المصادر لم توضح لنا ما إذا كان الفاطميون قد التزموا بهذه التعليمات والتحذيرات البيزنطية أم لا، أو إذا كانوا قد قدموا مساعدات فعلية للبيزنطيين في هذا الخصوص<sup>(٩٣)</sup>.

أما بالنسبة للمدن التجارية الإيطالية وبصفة خاصة بيزا ودورها في تقويض العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين، والذي بدا واضحاً من خلال هذه الغارات على تنيس وغيرها من مدن مصر. نقول إن

موقع جزيرة صقلية الاستراتيجي، والنجاحات العسكرية الفائقة للنورمان والتي مكنتهم من السيطرة على الطرق البحرية الهامة كان أمراً شديداً الوطأة على البيازنة؛ فدخلوا في حرب مباشرة مع النورمان، لكنها كانت سجلاً ولم تسفر عن تفوق أحد الطرفين على الآخر<sup>(٩٤)</sup> هنا كان الحل البديل لحكومة بيزا هو توسيع نطاق علاقاتهم بالحكام الفاطميين في مصر، رغم حالة عدم الاستقرار التي كانت عليها العلاقات بين البلدين في الفترة السابقة لفترة الغارات النورمانية. ولهذا فقد اتخذت حكومة بيزا عدداً من الإجراءات لتقوية هذه العلاقة مع حكام مصر نذكر منها:

١ - إيفاد سفير بيزا إلى مصر يدعى رانييري بوتاشي R. Bottacchi في عام ١١٥٤م / ٥٤٩هـ، استقبله الخليفة الفاطمي الظاهر استقبلاً طيباً، وكان هدف هذه السفارة إزالة بعض العوائق التي تعترض استمرار العلاقات التجارية بين البلدين، وتسوية بعض المشكلات التي نشبت بين مسافرين من البيازنة وبعض المصريين. وقد نجحت هذه السفارة فيما سعت إليه، حيث جرى إطلاق سراح بعض سجناء البيازنة مقابل تعهد حكومة بيزا بعدم مساعدة الصليبيين في الشام<sup>(٩٥)</sup>.

٢ - عقد معاهدة صداقة وتجارة جديدة مع مصر وقعت بين الطرفين في مارس ١١٥٥م / المحرم ٥٥٠هـ، وبالتالي استمرت العلاقات طيبة بين الطرفين لمدة عامين، وشوهدت بعض السفن المصرية تتردد على بيزا آنذاك، والعكس بالعكس فقد ترددت سفن بيزية في الموانئ المصرية وحفقت مصالح حكومتها التجارية والدبلوماسية<sup>(٩٦)</sup>.

عند هذا الحد كانت شكوى النورمان من هذه الامتيازات التي منحت للتجار البيازنة، خاصة في ظل تدهور العلاقات بين النورمان وحكومة بيزا إلى حد حدوث القطيعة بينهما. وتزايدت هذه المخاوف أكثر فأكثر من إصرار بيزا

على إحكام سيطرتها على مصر، وهو الأمر الذي لم يتقبله النورمان كما يقول المؤرخ كلود كاهن<sup>(٩٧)</sup> فكان ما كان من أمر الغارات التي انطلقت تهاجم تنيس وتسويها بالأرض هي وغيرها من مدن الدلتا المصرية. وبالتالي كان هذا سبباً في توتر العلاقات المصرية النورمانية وتعدّيها مرحلة التخويف وتذكير المصريين بقوة النورمان إلى مرحلة السلب والنهب بشكل واضح وصريح<sup>(٩٨)</sup>.

خامساً: مدى ارتباط غارات النورمان على تنيس بالحركة الصليبية والصليبيين في الشرق:

عطفاً على ما سبق ننتقل إلى جانب آخر مرتبط بالصراع البحري والتجاري بين الشرق والغرب، وهو مدى ارتباط غارات النورمان على مصر بالحركة الصليبية وهل كانت جزءاً منها، أم كانت مجرد محاولات فردية قام بها حكام النورمان لإثبات قدراتهم الحربية القوية من جهة، وقدراتهم على مساعدة الصليبيين وجماعات الحجاج المسيحيين القادمة إلى الشرق من جهة أخرى؟ وهل ما قام به النورمان ساهم بالفعل في تدعيم الوجود الصليبي في الشرق، أم كان مجرد جهد ضعيف لم يقدم ولم يؤخر، أو لم يساهم في انتصارات الصليبيين وتفوقهم؟.

في هذا الجانب نشير بداية إلى أن صقلية صارت في عهد النورمان نقطة هامة أو محطة رئيسية في طريق الجيوش الصليبية إلى الأراضي المقدسة، بل كانت نقطة التقاء لكثير من المغامرين الصليبيين الذين تواعدوا على المسير إلى الشرق الأدنى؛ بل أن هذه الحروب قدمت للنورمان الفرصة الذهبية لتعظيم دورهم والاستمرار في سياستهم التوسعية<sup>(٩٩)</sup>.

لكن الواقع يشير إلى أن نورمان صقلية كانوا حريصين على مصلحتهم أولاً وفق استراتيجية تقوم على تأمين أنفسهم، وعدم المجازفة بالتعرض للخطر، ولهذا فلم يكن بمقدورهم تقديم السفن اللازمة للصليبيين لأهميتها في التصدي لأي خطر محتمل يحيق بهم، ولهذا مثلاً تقاعس روجر الثاني وانسحب من المشاركة

في الحملة الصليبية الثانية، بل امتنع عن تقديم أي مساعدة بأي شكل من الأشكال لأعضاء هذه الحملة، رغم حرصه الشديد على تأكيد صداقته مع فرنسا وممثلها في الحملة الملك لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م/٥٣٢-٥٧٦هـ) رغبة في عرقلة أي تعاون قد يحدث بينها وبين الدولة البيزنطية العدو اللدود لنورمان صقلية<sup>(١٠٠)</sup>.

الأكثر من ذلك إقدام نورمان صقلية على الاستيلاء على مدينة المهديّة في هذا التوقيت المترامن مع الحملة الصليبية الثانية، وهدفهم إثبات قدراتهم وقدرات مملكتهم الكبيرة أمام القوى الأوروبية المشاركة في الحملة، على أساس أن ما قاموا به يعد حرباً صليبية قاموا بها وحدهم، وأن نجاحهم في السيطرة على هذا المركز البحري العسكري التجاري المهم- الذي طالما هدد جنوب أوروبا، وأقضى مضاجع البابوية و كانت حريصة على تدميره- ولذا قدم النورمان كل العون للحملة الصليبية التي اتجهت إلى هذه المدينة من ناحية، وحتى لا يطالبهم أحد بالمساهمة في الحملة الصليبية الثانية، لانشغالهم الكامل بهذه الحرب ضد المهديّة من ناحية أخرى.<sup>(١٠١)</sup>

كذلك كانت استراتيجية النورمان تقوم على اعتقاد جازم بأن نجاح المشروعات الصليبية سيؤثر عليهم اقتصادياً، إذ أن التجارة ساعتهما ستتقل من أيديهم إلى أيدي أولئك الصليبيين المنتصرين<sup>(١٠٢)</sup>.

والسؤال هنا: هل يمكن اعتبار هذه المطامح النورمانية خروجاً على الخط الصليبي، وهل كانت غاراتهم على تنيس مجرد غارات فردية بقصد السلب والنهب فقط بعيداً عن الحسابات الصليبية، أم أن ذلك كان فقط موقفاً مؤقتاً من قادة الحملة الصليبية الثانية؟

وهناك سؤال آخر أكثر أهمية هو: هل كان دور النورمان في الحروب الصليبية هو دور التابع، أم دور المشارك الكامل في تلك الحروب؟ أو بشكل

آخر هل يمكن اعتبار هذه الغارات النورمانية على تنيس جزءاً من الاستراتيجية العامة للصليبيين في ضرورة السيطرة على مصر وسحبها باعتبارها رأس الأفعى التي يجب أن تقطع -على حد قول بعض الصليبيين- حتى يطيب للصليبيين المقام في الشام، لخطورة موقعها الجغرافي، وإمكاناتها الاقتصادية الهائلة التي تمد المسلمين في الشام بالمساعدات الممكنة للاستمرار في المقاومة ضدهم، بل أن بعض الصليبيين قالوا أن الطريق إلى بيت المقدس يبدأ من القاهرة<sup>(١٠٣)</sup>؛ أم أن هذه الغارات كانت مجرد محاولة للخروج من قزمية الدور النورماني في الحركة الصليبية بصفة عامة؟

الإجابة على هذه التساؤلات لا تصل بنا إلى نتيجة محددة حول دور النورمان في تلك الحركة، بل أن الإجابات تصيبنا أحياناً بالتناقض وعدم وضوح الرؤيا، فمن جانب معين ثبت أن نورمان صقلية كانوا على صلة دائمة بالإمارات الصليبية، وكانوا كذلك مصدر قوى للإمداد والتموين في الأزمات التي حاقت بالصليبيين، حيث قدموا كثيراً من الإعانات إلى كنائس وأديرة بيت المقدس<sup>(١٠٤)</sup> ومن جانب آخر كان إقدام النورمان على اقتراف جرائم السلب والنهب عملياً في الغارات التي قاموا بها على تنيس، التي كان أغلب سكانها من النصارى، ما يضحّد الأدلة التي قدمها المؤرخون الذين مجدوهم كأبطال نصارى غيورين على العقيدة النصرانية الكاثوليكية<sup>(١٠٥)</sup>.

لقد كان الشرق المسلم الحقيقي يبدو كدرب من السراب بعيد المنال قياساً إلى حجم الحماس الديني، والأحلام النورمانية التوسعية ولم يتحقق شيء منه أو الاقتراب منه إلا في فترة متأخرة في حملة ١١٧٤م على الاسكندرية<sup>(١٠٦)</sup>، ولا شك أن خطة القيام بحرب صليبية كانت فكرة داعبت أحلام وليام الثاني، لكنها لم تترجم إلى أرض الواقع، وإن ظل الأسطول الصقلي بكل بساطة مجرد عامل مساعد على تأمين عبور الصليبيين إلى الشرق<sup>(١٠٧)</sup>.

ومعنى هذا أن الدور النورماني الحقيقي في الحروب الصليبية كان دوراً بطيئاً متتافلاً متأخراً إلى حد ما، وهذا التثاقل كان له مبرراته التي سقناها من قبل، بيد أنه كان دوراً على أية حال، وكانت تلك الغارات على تنيس جزءاً منه، في إطار سياسة كل من وليام الأول ووليام الثاني لتأمين طريق الحج وخطوط المواصلات إلى الأراضي المقدسة، وهي مساهمة دفعت الملك وليام الثاني أن يطمح في الحصول على لقب الحامي أو المدافع عن الشرق اللاتيني أو الشرق الكائن فيما وراء البحار<sup>(١٠٨)</sup>.

بل يمكن اعتبار تلك الغارات على تنيس وكذلك حروب النورمان الأخرى في شمال أفريقيا - حسب أحد الآراء - نوعاً من الحرب الصليبية الموازية قاموا بها و نجحوا فيها، وخاصة مع الفشل الذريع للحملة الصليبية الثانية، فقد كان الغرب الأوربي ينظر إلى نجاح النورمان في تلك الهجمات بنوع من الإعجاب باعتبارها فتوحاً صليبية جديدة في شمال أفريقيا ومصر<sup>(١٠٩)</sup>.

سادساً : أسباب أخرى ساهمت في قيام تلك الغارات النورمانية على تنيس: هناك بعض الأسباب الأخرى التي يمكن رصدتها وإضافتها إلى الأسباب والدوافع السابقة التي ساهمت في خروج تلك الغارات ومنها:

١ - دوافع شخصية: تجسدت بشكل واضح في وليام الأول النورماني الذي كانت سياسته تميل إلى العنف والاضطهاد الديني، والذي عزاه بعض المؤرخين إلى سوء حالته الصحية و وفاة ثلاثة من أولاده خلال تسع سنوات فقط<sup>(١١٠)</sup> يرتبط بما سبق رغبة وليام الثاني هو الآخر في الانتقام مما حل بالأسطول الصقلي في مياه الأسكندرية ١١٧٤م / ٥٧٠هـ، ولأجل هذا كانت حملاته الأخرى على مصر أعوام ١١٧٥م / ٥٧١ و ١١٧٧م / ٥٧٣هـ الهدف منها السلب والنهب والغنائم<sup>(١١١)</sup>.

في هذا الإطار أيضاً أشار أماري<sup>(١١٢)</sup> إلى أن هذه الغارات قامت بعد وفاة روجر الثاني وغياب الحكمة السياسية من القصر النورماني إلى الأبد وهو أمر ارتبط بزيادة الكراهية للمسلمين داخل جزيرة صقلية، وانسحب على المسلمين خارجها، وخاصة المعادين لهم، وقد يكون هذا مرجعه إلى طول بقاء المسلمين في صقلية وما تركه من ألم في نفوس سكانها من المسيحيين لدرجة جعلتهم عازمين على الوثوب على القوى الإسلامية ومضايقتها أياً ما كانت هذه القوى وأنى كانت، والدليل على ذلك أن وليام الأول هدد مسلمي صقلية بأنه سينزل بهم أشد الإيذاء إذا ما تعرض رجاله في غاراته الخارجية للقتل، وهذا ما دونه مؤرخه فالكاندوس<sup>(١١٣)</sup>.

كان من الطبيعي مع هذه الطبيعة المتقلبة غير المتسامحة للنورمان ونفسياتهم الطامحة ان تكون هذه الغارات في حكم العادة وبالتالي كان لا بد أن يطول الأذى مسلمي شمال أفريقيا ومصر، وهو الأمر الذي أثار كثيراً من ضروب الخشية والاستياء لدى سكان هاتين المنطقتين من المسلمين فبدأوا يعيدون النظر في أمر علاقاتهم التجارية مع صقلية إلى حد التفكير في تجديدها، وهي أمور أثارت أولئك النورمان وجعلتهم حريصين على القيام بالكثير من الغارات الأخرى على تيس وغيرها<sup>(١١٤)</sup>.

٢ - دور الوزراء الأرمن في مصر في محاباة ذويهم من المسيحيين، وما ترتب عليه من دور الوزراء العرب والأكراد المستعربين كرد فعل لمحاباة المسيحيين الأرمن، فقد كان الوزراء العرب أقل تسامحاً ومجاملة للمسيحيين وأكثر إحساساً بما تعرضت له هذه الأراضي المصرية المسلمة على أيدي القوى الغربية من انتهاكات<sup>(١١٥)</sup>.

ولا أدل على هذا الأمر من حرص روجر الثاني على بهرام الأرمني وطلبه من الخليفة الفاطمي الحافظ أن يفرج عنه، فقد كانت هناك علاقة خاصة بين روجر الثاني وبهرام الأرمني بسبب الرابطة الدينية التي تجمعهما من ناحية، والرغبة

الجزء الثاني

١٠٧٤

يونيو ٢٠٠٩



المشتركة في التخلص من حكم الفاطميين في مصر من ناحية أخرى. ولهذا اعتبر روجر أن بهرام هو المنفذ لسياسته في مصر ورغبته في مد نفوذه إليها، وهو ما حدث في عهد ابنه وليام الأول وحفيده وليم الثاني فيما بعد من خلال غاراتهم على المدن المصرية ومنها تنيس بالطبع، بل واستمرار حملاتهم الحربية المتتالية على مصر وثغورها في وقت كانت الدولة الفاطمية فيه في حالة شديدة من التدهور والضعف والانحلال، وقد وضح هذا في حالة الرعب والخوف الشديدة التي كانت تنتاب الفاطميين من الفرنج بشكل عام والنورمان بشكل خاص<sup>(١١٦)</sup>.

٣ - محاولات النورمان جلب الصناعات المتميزين من مصر ومن غيرها للعمل في صناعة النسيج النورمانية بصفة خاصة، ومحاولة النهوض بها، وهو أمر يمكن استنتاجه بالقياس التاريخي إذا عرفنا أن النورمان في حملتهم على أثينا وكورنثة في عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ، في عهد روجر الثاني اختطفوا نساجي الحرير في هذه المدن<sup>(١١٧)</sup>، وعادوا بهم إلى بالرمو، ليزيد من كفاءة وقدرة مصانعه لإنتاج أنواع عالية القيمة من الملابس الحريرية، وبالتالي كان منطقياً أن يقوم النورمان بتكرار هذا في مناطق أخرى مثل تنيس بالذات خاصة مع شهرة أهلها في هذه الصناعة، وأن معظمهم من الحاكة - كما ذكرنا من قبل - وأغلبهم من النصارى وبعض المسلمين المتميزين بهذه الصناعة والذين لم يكن لصناعتهم المتطورة بأنواعها المتعددة ما يمكن أن يدانيها في العالم المعروف آنذاك، كذلك أوردنا بن جبير دليلاً آخر في هذا السياق وهو أن المختصين بعملية التطريز في مصانع بالرمو كانوا من مسلمي صقلية<sup>(١١٨)</sup>. وبالتالي فلم لا يكون هؤلاء الصناع أو حتى بعضهم من بين سكان تنيس الذين جرى اختطافهم ونقلهم إلى صقلية، وخاصة مع الإشارات السابقة ذكرها عن أن النورمان احتفظوا بأسراهم الأقوياء من سكان تنيس الذين وقعوا في أيديهم خلال غارة ١١٥٤م / ٥٤٩هـ<sup>(١١٩)</sup>.

٤- يمكن القول كذلك أن نورمان صقلية قد رغبوا في شيء مهم جداً تمتاز به مدينة تنيس وهو ملحها الذي وصفه محتسب المدينة ابن بسام التنيسي بقوله "إن ملحها يفوق بضائنه وعذوبته كل ملح وبكثرته"<sup>(١٢٠)</sup>. كما أكد المقریزی هذه الحقيقة بقوله "فى بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذیذ ملوحته"<sup>(١٢١)</sup>

٥- تلازمت كل من تنيس ودمياط منذ الفتح الإسلامي لكل منهما في شيء مهم أنهما صارتا لهما تاريخ من الغارات المستمرة التي تعرضتا له بدأ على يد البيزنطيين واستمر على يد الصليبيين والنورمان وغيرهم. وذلك رغم حرص وعناية الحكام المسلمين لهاتين المدينتين على تحصينهما وتزويدهما بالحاميات التي ترابط للدفع عنهما برأ وبحراً<sup>(١٢٢)</sup>

ومن هنا فقد كانت هذه الغارات على تنيس امتداداً طبيعياً للغارات على دمياط التي صارت أكثر أهمية فيما بعد خاصة بعدما ضعف شأن تنيس وتهاوت في نهاية العصر الأيوبي<sup>(١٢٣)</sup>.

٦- في نهاية الأمر يمكن أن نضيف إلى أن أهداف النورمان من تلك الغارات على تنيس تعود بشكل كبير إلى ما فرضته أهميتها التجارية والحربية، وخاصة ما يتعلق بسهولة اتصالها بداخلية البلاد عن طريق بحيرة المنزلة والخليج الواصل من النيل إليها وهو أمر كان يهم تجار صقلية النورمان وحرصهم الشديد على تجارتهم وبضائعهم الآتية من الهند والشرق الأقصى التي تصل إلى موانئ البحر الأحمر ثم تنقل إلى النيل ومنها إلى تنيس والفرما وغيرهما من المدن الواصلة إلى البحر المتوسط لنقلها إلى أوروبا. وكلها أمور ساهمت في زيادة مكانة المدينة وأهميتها بالنسبة لنورمان صقلية فحرصوا على أن يقضوا مضاجع أهلها فيأتون بين الحين والآخر لتوجيه غاراتهم إليها سلباً ونهباً وتحريقاً<sup>(١٢٤)</sup>.

## الخاتمة

كان من النادر في العصور الوسطى وجود دولة في حالة سلم مع كل الدول فقد كان حق الحرب مكفولاً للجميع، وكان هناك دائماً سفناً مجهزة لضرب مصالح الأعداء، أو الانتقام منهم كرد فعل للخسائر المتعددة في الأرواح والمعدات، لقد كان هناك كثير من التجاوزات وكثير من القرصنة لغياب الأمن على سواحل البحار، وكانت أرباح القراصنة وفيرة تضاهي مداخيل النشاط التجاري العادي والقائم في جو من الود والسلم.

من هذه المنطلقات عرضنا تفصيلاً لموضوع غارات نورمان صقلية على مدينة تيسيس المصرية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / النصف الثاني من القرن السادس الهجري، في محاولة لتفسير دوافع وأسباب تلك الغارات.. وفي النهاية توصلنا إلى عدة نتائج نختم بها هذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:

إن أي محاولة لتفسير غارات نورمان صقلية على المدن المصرية وبخاصة تيسيس تجعلنا أمام العديد من الأمور التي تبدو متداخلة بشكل يجعل تفسيرها أمراً صعباً يحتاج إلى مزيد من الجهد لتوضيحه وبيانه.

وتكمن صعوبات هذا التفسير في جو العلاقات الودية والسلمية التي كانت تجمع بين ملوك صقلية النورمان وحكام مصر من الفاطميين ومن جاء بعدهم.

لقد كانت هذه الغارات تعبيراً عن التطور الذي أصاب دولة النورمان في صقلية وتحولها إلى إحدى القوى الأوربية القوية في عالم البحر المتوسط ومحاولاتها المضنية لتحقيق بعض الطموحات العسكرية والسياسية، وتجميل شكل دولتهم، ومحاولة تنمية حضارتهم لتعلو على ممالك أوربا الأخرى ولتبدو كأحد الممالك الحديثة أكثر منها مملكة من ممالك العصور الوسطى. رغم أن هذا

يتصادم مع ما عرف عن النورمان من وحشية وهجمية في غاراتهم على المدن والبلاد التي هاجموا ومن أهمها تنيس.

ما يزيد الأمر حيرة في إيجاد تفسير لتلك الغارات هو الميل الواضح من حكام النورمان ناحية المسلمين وتبني طرائقهم في السياسة والاقتصاد والتجارة وفنون البناء والعمارة، وهو ما أكدته الآثار المتخلفة عنهم في نقوشهم وكتاباتهم على العملات والملابس، وتبنيهم بعض العلماء والفقهاء من المسلمين في بلاطهم ورعايتهم، والاعتماد عليهم في كثير من الأمور.

لكن حتى هذا أيضاً يتصادم مع الرغبة في الانتقام من المسلمين بسبب بقاؤهم في صقلية لفترات طويلة من الزمن، والرغبة في إلغاء وإنهاء الامتيازات التي حصلوا عليها وهي الأمور التي حدثت بعد وفاة روجر الثاني. بل أن هذا الانتقام حركته بعض الدوافع الشخصية الأخرى لدى حكام صقلية بعد غياب الحكمة السياسية بوفاة روجر ورحيله، ووجود بعض الميول الغربية وبخاصة في شخصية وليام الأول.

حتى ما قيل عن رغبات وليام الثاني في حماية الجماعات النصرانية في الشرق، وتأمين طريق الحجاج إلى الأراضي المقدسة في بلاد الشام، يتصادم مع تركيز الغارات وتكرارها على تنيس بالذات مع العلم أن أغلبية أهلها من النصارى -المحبين للغرباء والمتسامحين معهم والذين يحسنون صحبة من يتقون به من أولئك الغرباء- وهذا تناقض واضح في عقلية ونفسية هؤلاء الحكام النورمان.

هناك كذلك بعض الأسباب الاقتصادية في هذه الغارات مثل محاولة الحصول على الملح لجودته وأهميته لأهالي صقلية، أو جلب الصناعات الماهرة لتحسين صناعاتهم وخاصة صناعة النسيج بالذات، إلى غير ذلك من شئون التجارة.

ونؤكد في نهاية الأمر أن هذه المدينة -على صغر حجمها وارتباطها بدمياط الأكثر منها شهرة ومكانة- و ما أكدته أحداث هذه الغارات كانت واحدة من أهم مدن مصر الصناعية والحربية في العصور الوسطى، وأن ما بقي من أنقاضها اليوم يتحدث عن مجدها الغابر وعزها الذي اندثر، وللأسف فلم يحاول أحد أن يعيد تخطيطها وتعميرها كما حدث لجارتها دمياط في أعقاب حملة لويس التاسع الملك الفرنسي عليها عام ١٢٤٨-١٢٥٠م/٦٤٦-٦٤٨هـ. وخير ما يقال عن تنيس في النهاية وكما يقول الدكتور عطيه القوصي "أنه رغم اندثارها إلى أن تاريخها العظيم ودورها الخضاري الهام سيظل دوماً يتنفس من تحت الماء".<sup>١٢٥</sup>

## هوامش البحث

1 - Davis - Sccond, S.C., *Sicily and the Medieval Mediterranean*, communication - 1 Networks and inter - regional exchange, Notre Dame, Indiana, U. S. A, 2007, PP. 79, 118.

2 - اتسمت حروب النورمان بالوحشية، وكثيراً ما دنسوا الأرض بسوء فعلهم، فانتهكوا المحرمات وظهروا دائماً في صورة الجنس القوي المشاغب، وكثيراً ما استخدموا القوة المفرطة ضد أعدائهم، تلك القوة التي وصلت إلى حد يقر بطون الراهبات، والتكفل بالرجال والأطفال، ومن هنا أثاروا كراهية كل الأمم التي جاورتهم كالإنجليز والفرنسيين والفلمنكيين واللومباردين والمسلمين وغيرهم .. للمزيد عن هذه الأعمال الأرهابية للنورمان، انظر:

Haskins, C. H, *The Norman in European History*, (Cambridge. Mass, 1915), PP. 14 - 15, 195.

وأيضاً، عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية وقدم له د/ أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٠، ص ٥١٧، فيليب تيلور، قصص العقول، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٥٦، لسنة ٢٠٠٠م، ص ٩١ - ٩٢.

3- ذكر بعض المؤرخين أن مملكة النورمان في صقلية كانت مملكة على الطابع الشرقي الخالص الذي لم يسبق أن تواجد في ممالك النورمان الأخرى في أوروبا، ويعود السبب في ذلك إلى أن النورمان استفادوا بشكل خاص من المسلمين والبيزنطيين، وكل العناصر الأخرى التي تحققت أهدافهم بصرف النظر عن معتقداتهم وطموحاتهم وأبرز دليل على ذلك استخدام روجر الثاني لكل من روبرت أوف سالزبي Robert of Salesby رئيساً لبيت المال وهو رجل إنجليزي، و الراهب نيلوس دوكساباتريس Nilus Doxa patres وهو بيزنطي، وكذلك الجغرافي الإدريس وهو عربي والذي كتب رسالة في الجغرافيا اشتهرت باسم كتاب الملك روجر للتفاصيل عن هذا الموضوع، انظر:

Takyama, H., *Exploring A Medieval Kingdom of Mystery, The Norman Kindom of Sicily and its administration*, (Yale University, 1990), PP.1-2, Koengsberger, H. g . ed, "A History of sicily:Medieval Sicily (800-1713);Modern Sicily after 1713", by Denis Macksmith, in, *EHR*, 25, n.336 (July, 1970) pp . 60-62

4- من أمثلة هذه الدراسات: دراسة محمود سعيد عمران وعنوانها "حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصالح الدين في منية الاسكندرية ٥٦٢هـ / ١١٦٧م" ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين العدد ٢٠٠ لسنة ٢٠٠١ ص ١٤١-١٧٢، وأيضاً دراسة علية الجزوري وعنوانها "غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، تاريخ المصريين عدد ٥ لسنة ١٩٨٧؛ ويمكن أن تضم إلى هاتين الدراستين دراسة الدكتور صفاء حافظ وعنوانها "الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م.

5 - ابن بسلام التنيسي: أنيس الجليل في أخبار نتيس، تحقيق جمال الدين الشبال، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٥-٤١.

6 - ظلت صقلية تحت الحكم الإسلامي طوال الفترة من (٢٩٥ - ٤٨٤هـ / ٩٠٨ - ١٠٩٦م). للمزيد من المعلومات .. انظر،

1986, PP. 13 - 14, 50 - Chairlle, L. C., *Sicily During The Fatimid*, University of Utah, 89.

7 - كانت المدن الرئيسية لصقلية تطل كلها على سواحل بحرية مما جعلها عرضة لمؤثرات سياسية وثقافية متعددة ومتنوعة، انظر،

Haskins, op . cit , Loc . cit , Davis- Sccond, op . cit , PP . 118 - 119, chairlle, op . cit , p . 2 .

وأيضاً، راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٨٨.

8 - من هذه السفارات التي تمت بين روجر الثاني والحافظ لدين الله الفاطمي، السفارة التي أرسلها الحافظ لروجر حتى يكف أذاه واعتدائه على أفريقيا وكان على رأسها مصلطع الدولة بن أحمد بن زين وذلك في عام ٥١٧هـ / ١١٢٣م، وكذلك الخطاب الذي أرسله الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ / ١١٢٩-١١٤٩م) إلى روجر بموجب كتاب مرسل إلى الأخير من صاحب أفريقيا لإطلاق سراح بعض الأسرى الذين وقعوا في أيدي روجر الثاني، الذي تشفع له وأطلق سراحهم بالفعل، وهذا الخطاب الذي نشره القلقشندي لم يكتب الحافظ فيه بالتعرض للشئون السياسية فقط بل امتد الحديث عن تعرض سفينة مصرية للقتل من طرف مجهول داخل المياه الصقلية حتى وضعها روجر الثاني تحت حمايته الخاصة، ورد ملك صقلية على الحافظ بخطاب وصل بعد عزل الوزير بهرام الأرمني من وزارة الحافظ سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م، ومن الممكن أن تضيف إلى كل ما سبق تدخل روجر لدى الحكومة الفاطمية سنة ١١٣٧م / ٥٣١هـ وذلك لتخفيض الرسوم الجمركية على أهالي سالرنو ليدفعوا نفس القيمة التي يدفعها تجار صقلية، وكذلك تدخله للحصول على بعض الامتيازات التجارية في مصر لتجار مدينة أمالفي. للتفاصيل انظر:

القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، (١٩١٣-١٩٢٠م)، ج ٦، ص ٤٥٨ - ٤٦٣، وقد أعاد نشر الخطاب المشار إليه عبد الهادي التازي في كتابه : التاريخ الدبلوماسي لبلاد المغرب، المملكة المغربية ١٩٨٧، المجلد الخامس، ص ٢٠٣ - ٢٠٨ .

9- يخالف أبو العافية المؤرخين الآخرين، إذ يشير إلى عقد هذه المعاهدة التجارية في عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م ومنذ ذلك التاريخ وتجار صقلية يشاهدون باستمرار في مواني مصر وأسواقها، انظر:

Abulafia, D., The Crown and The Economy under Roger II and His successor, DOP. , 37, 1983, p. 2.

وانظر أيضاً: أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م، ص ٥٣٢ - ٥٣٣؛ حامد زيان: العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر و الشام أبان الحروب الصليبية ( ٤٩٠ - ٦٥٩هـ / ١٠٩٦ - ١٢٦١م ) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧٨؛ أمينة الشوريجي: رؤية للرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي ( ٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م )، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٦٥.

Haskins , op . cit , p . 221. - 10

Haskins, op . cit, p . 195, Takyama, op. cit, p. 22 . - 11

12 - وصف المؤرخ رومولد أوف سالرنو الملك، روجر الثاني وهو ينعيه عند وفاته بأنه كان مهتماً بجمع المال، لكنه لم يكن سخياً في إنفاقه.

Romuald of Salerno , Chronicon , 1153 - 1169 , ed , Gorufi , C . A, RIS.7 Bologna , 1935 , ser , 2 , P. 237.

بينما وصفه البيزنطيون بأنه الطاغية الحقيقي، وتنين الجزيرة، والعدو الرئيسي لكل المسيحيين، وعلاوة على ذلك فهو الحاكم المتوحش الذي حافظ على أراضي صقلية بنفوذ وطغيانه، انظر:

Eustasios of Thessaloniki, Eustathii Thessalonicensis, Manuelis Comneni, Laudatio Fonebris, PG. CXXXVI, P. 983; also: Wierszowski , H . Roger II of Sicily Rex-Tyranus , in Twelfth Century plotical Thought , in SP , Vol , 38 , No . I (jan. 1963) p. 63

أما عن وفاة روجر فقد حدثت في ٢٧ فبراير ١١٥٤م انظر:

Takayama, op. cit., p. 178.

13 - نقلت جو. هـ. درل عن حولية ألكسندر أوف تيليس Alexander of Telesه قوله عن ولدي روجر: "كان لدي الملك ولدان جنديان مظهرهما يدين جيداً وتصرفاتهما على مستوى منضبط وأنهما قد أوكل إليهما حكم المملكة بمجرد أن وصلا إلى سن الرشد، والواضح أن تيليس اخطط عليه الأمر فجعل وليم الأول ووليم الثاني ابنين لروجر الثاني، لكن الحقيقة أن وليم الثاني كان ابناً لوليم الأول وليس أخيه، انظر:

Drell , J . H . , Marriage , Kinship and power , family structure in principality of Salerno under Norman Rule , 1077 - 1154 , Brown university 1996 , P.II.

من المؤرخين الذين وصموهم بالضعف، وعدم القدرة على عمل أي شيء، بل الكسل أحياناً، فابن الأثير وصف وليام الأول الذي نجح في خلافة والده روجر بأنه كان "فاقد التمييز سيئ التصوير"، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، ١٩٧٨، ج ١١، ص ١٨٧ كما وصفه رومولد أوف سالرنو بأنه كان مكرها بين أهله وكانوا يخافونه، ولا يحبونه.

Romuald of Salerno, op. cit, p. 253 . CF. also , Laud , G . A . , Norman Sicily in Twelfth Century, in, NCMH, vol, II, Ch. 15, p. 454 .

14- بدأ حكم وليام الأول المشترك مع أبيه روجر الثاني في ٨ أبريل ١١٥١م ، و هي مدة تصل إلى سنتين و عشرة اشهر تقريبا؛ واستمر حتى تنويعه في عام ١١٥٤م، وقد حضر تنويع وليام كل من كونت كورفرسانو Conversano وروبرت بازو نغيل Robert De Basoniville وهو أكبر أبناء عمومة الملك، وقد أعطاه وليام لقب كونت لوريتيلو Loritello وأرسله معززا مكرما إلى أبوليا للتفاصيل، انظر:

Falcandus , H., The History of The Tyrants of Sicily , By Hugo Falcandus , 1154 – 1169 , Trasn by , Thomas Wiedeman, Manchester and New york , 1998 . p. 221.

15- كان مايودي باري ابنا لليودي ريزا Leo De Reiza الذي كان بارونا لبورتونكس Portojudex وكان من رجال روجر الثاني بين عامي ١١٤٤ و ١١٤٨م، أما مايو ابنه فقد ترقى حتى وصل إلى منصب المستشار الأول للمملكة أيام روجر الثاني، أما في عهد ابنه وليام فقد حمل مايو لقب أمير الأمراء حتى اغتياله في عام ١١٦٠م. اختلف مايو عن سبقه في أنه كان من أصول لاتينية وليس بيزنطيا، وظل طوال حياته موظفا مدنيا فلم يشغل نفسه كثيرا بالأنشطة العسكرية وكان مايو كما يقول فالكاندوس "مصدر كل أزمة حدثت، خاصة بعد ما زادت سطوته وتشبه بالملك في سلطاته الواسعة، واتصف كثيرا بالجنون والغباء"؛ بالذات عند ما كان الملك وليام يطلب منه فعل أي شيء وحشي مع عامة الناس مثل سمل العيون، وقطع الألسنة وما شابه ذلك . ويضيف فالكاندوس أنه لم يكن محبوبا بين العامة لدرجة أنهم عندما وجدوا جثته ملقاة في الشارع بعد اغتياله قاموا بضربها بالأقدام، وداس بعضهم عليها، وقام آخرون بطريقة عفوية باقتلاع شعر لحيتته، وصفعه على وجهه. و الأغرب ان كثير من العامة ظنوا انه لم يمت ، و ان الجثة الموجودة بالطريق مجنونة في الطين بهذه الطريقة المخزية ليست له ، و انما لأحد فرسانه.

Falcandus , op . cit . p . 78 , Romulad Salerno , op . cit , loc . cit , CF. also, Takyama , op . cit . pp . 179 - 181. ؛ وقد سماه ابن الأثير مايو البرصاتي، انظر: الكامل، ج ١١، نفس الصفحة السابقة.

16 - بعد اغتيال مايودي باري عين وليام الأول هنري أرسيتبوس Henry Aristippus قسيس كاتانيا مكانه وأوكل إليه مهامه وكان رجلا ذو ثقافة عالية عالما بالأدب البيزنطية واللاتينية وعرف لوقت طويل في الحوليات على أنه واحد من أهم وأفضل رجال الإدارة الملكية النورمانية.

Romulad Salerno, op . cit, p. 254; also -Haskins. CH.; Lockwood , D. P. , The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's Almagest , in H. S. C. Ph. volL , 21 , 1910 , p.86. ؛ وانظر أيضا: عزيز أحمد، المرجع السابق، ص ٦٩.

17 - حينما كان وليام يحتضر جمع رجال دولته وعلى رأسهم رئيس أساقفة سالرنو وأبلغهم بأمر أمنياته وهي أن يتولى ابنه الأكبر وليام - الذي كان عمره آنذاك لا يزيد على اثنتي عشرة سنة - الحكم بعد وفاته، بينما يكون ابنه الأصغر هنري - وكان عمره آنذاك ستة أعوام - أميراً على إمارة كابوا، وأن تكون الملكة الأم مارجريت Margrate وصية على ابنها الأكبر حتى يصل إلى سن الرشد، ويستطيع أن يحكم المملكة حكما ناضجا لكن سلطة مارجريت اغتصبها "مجلس العشرة" الذي نصبه النبلاء الآخرون، بيد أن والتر أوف اميل Walter ophamil الإنجليزي . نجح في تجريد مجلس العشرة من كل سلطاته التي اغتصبها، وبالتالي حاز ثقة وليام الثاني عندما بلغ سن الرشد وأصبح ملكاً على صقلية . وقد أشار فالكاندوس إلى أن النساء المسلمات في بالرمو حين توفي وليام كن يلبسن الثياب الخشنة، وقد نثرن شعورهن، وملأن الفضاء بعويلهن، ورددن المراثي الشجية على أنغام الطنبور. وعند وفاته في عام ١١٦٦م دفن في كنيسة القديس بيتر، ثم أعيد دفن جثمانه مرة أخرى في مورتريال ١١٨٣م/٥٧٩هـ، انظر،

Falcandus , op . cit , p . 137 , Romulad of salerno . pp . 261 – 62 . CF. also, Loud , op . cit , p. 454 .



وأيضاً، عزيز أحمد : المرجع السابق، ص ٧١ .

18 - ذكر بعض المؤرخين أن عصر وليام الثاني أيضاً كان عصر تمزق وشقاق داخلي، وكان لديه هو الآخر بالمثل رئيس وزراء قوي مكروه هو ستيفن بيرش Stephen of Berche انظر:

Loud, op. cit, pp. 454 – 455, Takyama, op. cit, vol, p. 10 .  
السابق، ص ٧١؛ بينما أشار آخرون إلى أن الغابات في صقلية في عهد وليام الثاني كانت أكثر أماناً من المدن في البلاد الأخرى" وهذا دليل قاطع على الهدوء والاستقرار اللذين تمتعت بهما صقلية في عهده الذي بدأ فعلياً في عام ١١٧١م وكان حريصاً على استمرار الغارات المشار إليها، انظر:

Takyama, op. cit, loc. cit.

19 - تولى حكم مصر في هذه الفترة - كما سبق أن أشرنا - الخليفة الفاتح (١١٥٤-١١٦٠م) الذي كان مجرد طفل صغير لم يتجاوز عمره خمس سنوات. شهد مصرع أعمامه على يد الوزراء الكبار، فتهرب الخليفة الصبي منذ ذلك إلى نوبات صرع مزمن، الأمر الذي جعل أميرات القصر الفاطمي يستدعين حاكم الصعيد طلائع ابن رزيق لإتقائهم، فلما جاء ابن رزيق اتخذ لنفسه لقب الملك الصالح وأخذ يلهو بالخلفاء الصغار، يحين من يشاء ويحزل من يريد، ولذا فعندما أقام الخليفة العاضد ٥٥٥هـ / ١١٦٠م، هلك الناس للخليفة الجديد، فتعجب بن رزيق من جهل الشعب وقال "وكانني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا، وما علموا أنني كنت منذ ساعة استعرضهم استعراض الغنم" وأكبر دليل على مدى تعاطف نفوذ الصالح بن رزيق هو أنه أراد أن ينتقم من عمه الخليفة العاضد التي كانت قد نجحت عن طريق المال في شراء بعض الأمراء المصريين مثل ناصر الدولة باقوت والي قوص، وابن الراعي أشد الأمراء المصريين والأمير المعظم ابن قوام الدولة صاحب الباب لقتله لكنهم لم ينجحوا ورغم ذلك فقد أصيب بإصابات طفيفة. وعند ذلك طلب من العاضد أن يسلمه عمته فخاف وأرسلها إليه لينفي علاقته بهذه المؤامرة، فما كان من ابن رزيق إلا أن خنقها. وعند ذلك الحد قامت عمه العاضد الأخرى والتي تدعى ست القصور بإحضار من قتل ابن الصالح المدعو رزيق. وفي النهاية لم يلبث هذا النزاع بين الخلفاء والوزراء، وبين الوزراء بعضهم وبعض أن أدى إلى تعرض البلاد إلى تدخل القوى الخارجية، وبالطبع منهم النورمان، هذا التدخل الذي انتهى بسقوط الدولة الفاطمية نفسها، للتفاصيل: انظر:

أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق فليب حتى، الولايات المتحدة، برنستون ١٩٣٠، ص ٤٣-٥٥، ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١١ ص ٢٧٤-٢٧٦، وكذلك، وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٨٣٩-٨٤١.

وانظر أيضاً: عبد الرحمن الرافعي، وسعيد عاشور، مصر في العصور الوسطى، من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٠٩، رانسيومان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد إلياز العريني، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٥٩٠ - ٥٩٢، ناريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٣٢-٢٣٣.

20 - يقول الإدريسي عن قوة أساطيل نورمان صقلية - وبالدات في عهد روجر الثاني - "كانت أساطيل روجر متكاثرة متناصرة المدد صدق فيها الخير الخير، وتسلاوى في معرفتها السمع والبصر، فأى غرض بعيد لم يصل إليه ولم يخطر عليه، وأي حرام عسير لم يحظ به، ولم يتيسر لديه ...". انظر:

الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص ٤.

بينما يشير أبو العافية إلى أن الأسطول الصقلي كان قادراً على حراسة المضائق في صقلية وأفريقيا، كما كانوا يفرضون إتاوات على جميع الموانئ التي يسافرون إليها سواء كانت تابعة لهم أو ليست كذلك على كل الطرق والمضائق على طول البحر المتوسط. انظر:

Abulafia, D., The Two Italies, Economic relations between The Norman kingdom of Sicily and The Northmen Communes, Camb. Univ. press, 1977, p. 86.

21 - سيمينوفا: تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٥٢، حامد زيان: المرجع السابق، ص ٧٦، ٧٧.

Jones , J., The Norman Kingdom of Sicily and the Fatimid caliphate , A N S, T.15 , - 22  
1992 , pp . 147 - 148 .

وأيضاً: عطية القوسي: مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط  
القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥٥، حامد زيان: المرجع السابق، ص ١٦٩، البراوي: المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

23 - كان طريق التجارة الرئيسي بين مصر وصقلية هو طريق التجارة الدائرية البحري في الشمال والذي يبدأ من  
صقلية إلى كريت وقبرص وبلاد الشام إلى مصر، كذلك كان هناك طريق بحري آخر يبدأ من الاسكندرية ماراً  
بسواحل المغرب، ومن هناك إلى صقلية، وإن كان الرحالة والجغرافيون قد أشاروا إلى وجود طريق بحري  
مباشر بين مصر وصقلية تقطعه السفينة في عشرين يوماً على قول ناصر خسرو، وثلاثين يوماً كما أشار ابن  
جبير، وكان فنار الاسكندرية دليلاً للسفن القادمة من صقلية، فقد كان يشاهد على بعد عشرين ميلاً، انظر:

ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٠، ابن جبير: رحلة ابن جبير،  
ضبطه ووضع فهرسه محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٥٦، انظر أيضاً:

Sccond , Davis., op . cit , pp . 241 , 245 .

وأيضاً: عبد العزيز النوري: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامي من الفتح العربي حتى الغزو  
النورماندي، العراق، ١٩٨٠، ص ١٧١.

Abulafeia, D., The Crown and Economy, p. 3 - 24

25 - أشارت ديفيز سكورد أنه جرى في أحد المرات تصدير ثلاثين صندوقاً من الجبن الصقلي شحنت من بالرمو  
إلى مصر، واستغرقت رحلتها تسعة وعشرون يوماً، كما ظهر الجبن الصقلي في أحد كتب الطهي العربي في  
الشرق الأدنى، انظر: Sccond , Davis ., op . it , p . 205

26 - أشهر أنواع الزيوت التي ظهرت في المصادر والكتب زيت الزيتون، وزيت القرطم، وزيت السمسم، وكذلك  
زيت بذرة الكتان، وإن أقبل الناس أكثر على زيت الزيتون سواء في الاستهلاك البشري أو كوقود للإضاءة أو  
لأهميته في صناعة الصابون والمنتجات الأخرى. Sccond , Davis., op . cit , pp . 202 - 205

Abulafia , The Crown and Economy , p . 7, Davis sccond , op . cit , pp . 151 , 202. - 27

وأيضاً، النوري : المرجع السابق، نفس الصفحة، حامد زيان، المرجع السابق، ص ١٦٣ .

28 - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٦٠، الإدريسي : المصدر السابق، ص  
١١٧، وانظر كذلك

Goitein , From The Mediterranean to India , Document on The Trade To India , South  
Arabia , and East Africa from The Eleventh and Twelfth Centuries , SP . vol. 39 ,  
1954 , p . 60 .

29 - زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا" نقله عن الألمانية، فاروق  
بيضون، وكمان دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الأفاق، بيروت، ١٩٨١، ط ٦،  
ص ٢٨ .

30 - السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط البحرية  
الإسلامية في مصر والشام، الاسكندرية، ١٩٨١، ص ٩٤، البراوي : المرجع السابق، ص ٢٢٤ .

Sccond - Davis . pp . 216 , 222 . - 31

أشار أبو العافية إلى أن حكام صقلية كانوا حريصين على تصدير نوع من الخيوط الخام وبعض الجلود والقطن إلى  
مصر والشرق.

Abulafia , The Crown and Economy , p . 8 .

32 - أشار جويتين إلى وجود تشابه كبير بين المنسوجات والأثواب الحريرية الصقلية ومثلتها في شرق البحر  
المتوسط وشمال أفريقيا، إذ أن قطع الحرير والنسيج التي عثر عليها في القرن الثاني عشر الميلادي كشفت  
عن قيام حكام صقلية ببنّي الفنون والزخارف الإسلامية، وكذلك الرموز الثقافية المستخدمة عند المسلمين في  
ذات القرن، بل كذلك الطرق المستخدمة في تلك الصناعة.

Goietein, op .cit, loc .cit.

33 - هونكه: المرجع السابق، نفس الصفحة.

34 - عزيز أحمد، المرجع السابق، ص ٧٣، وقد أشار ج. بريك J. C. Brik إلى أن العملات النورمانية التي ضربت بعد وفاة وليام الأول ظهر عليها اسم ابنه وليام الثاني وتحمل علامة مكتوب عليها "الملك وليام المبارك من الرب" وهذا يدل على أنه استبدل العبارات العربية والآيات القرآنية التي ظهرت على عملات سابقة، وحل محلها بعض العلامات المسيحية كالصليب، وكذلك بعض الألقاب مثل لقب النصرانية وغيرها".

Brik, J. C., op. cit. p. 186.

35 - يشير ابن جبير إلى أن الملك وليام الثاني كان عجيب السيرة في استخدامه للمسلمين، واتخاذ الفتیان، والجواري، وحرص على التشبه بحكام المسلمين، كذلك مال إلى الأبهة وتخييم الملك، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، وانظر أيضاً: عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٧٤.

36- بنى وليام الأول قصره الذي عرف باسم الزيسا Zisa وتكتب بالعربية "العزيزة" وتعني القوة والنبالة، وقد أحيط القصر بأشجار الفاكهة والحدائق الخلابة، وحوله بنبابيع الماء، وبعض برك الأسماك. وقد أشار فالكاندوس إلى أن وليام بنى هذا القصر ليستريح فيه من مسئولياته أو يهرب منها، فقد كان كسولاً وليس كوالده الوافر النشاط لكن من الواضح أن حكم فالكاندوس كان ظالماً، بدليل نجاح وليام في تجاوز هذه المرحلة بشكل مقبول وبهوء .. انظر،

Falcandus, op. cit, p. 68, CF, also, Brik, G., op cit, pp. 193 - 196, Haskins, op. cit, pp. 225 - 226.

وأيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٧٣.

37 - حامد زيان : المرجع السابق، ص ١٩٧، هونكه : المرجع السابق، ص ٤١١ .

38 - من أبرز هؤلاء الأبناء الذين زاروا صقلية أيام الملك وليام الثاني الشاعر أبو الفتح نصر الله المعروف بابن قلافس (١١٣٧-١١٧٢م / ٥٣٢-٥٦٨هـ) والذي ولد بالاسكندرية وتعلم بالقاهرة، وقام برحلات متعددة في شتى بلدان العالم الإسلامي وقد زار صقلية عام ١١٦٨م / ٥٦٤هـ وكان في ضيافة القائد أبو القاسم بن الحجار الذي كان زعيماً للجماعة الإسلامية هناك، وقرض فيه ابن قلافس شعراً. وهناك أيضاً مفكراً صقلياً آخر تجول في معظم العالم الإسلامي هو أبو عبد الله محمد بن طاهر الصقلي وكان عالماً وكاتباً ولد بصقلية، وذهب إلى مكة، وظل في حالة ترحال وتردد على بلاد المسلمين حتى توفي بصقلية عام ١١٦٩ - ١١٧٠م / ٥٦٥-٥٦٦هـ فإذا أضفنا إلى ذلك الجغرافي العربي الشهير الشريف الإدريسي، وكذلك الفيلسوف عبد الحق بن سبعين واللغوي القطاع السعدي، وكذا جمهرة من المعماريين قد أغلقت أسماؤهم وطويت تراجمهم، اتضح لنا كم كانت صقلية مركزاً للثقافة والعلم بفضل هذه التأثيرات الإسلامية والعربية، للتفاصيل انظر: ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د، مجلد ٥، ص ٢٨٥، ونكر المقرئزي أن ابن قلافس مدح الملك روجر الصقلي نفسه، انظر: المقرئزي : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة ١٩٩٦، ج ٣، ص ٢٧٧، وانظر أيضاً حامد زيان : المرجع السابق، ص ١٨٠، عثمان العكاك: مسلك القاهرة، النوبة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٧١، ص ٧٩٣، وكذلك Davis-Secord, op. cit, pp. 135, 188.

39 -ابن الأثير : الكامل، ج ١١ ص ١٩٠، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أ. أمدروز، ١٩٠٨، ص ٣٣١، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجليل، بيروت، د، ج ١، ص ٢٤٩، ٢٥٣، المقرئزي : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت ج ١، ص ٢١٤. والجدير بالذكر أن الخليفة الفاطمي آنذاك كان الفائز بالله والوزير هو الصالح طلائع بن رزيك، والذي كان قد بدأ ممارسة مهام منصبه في أول يونيو ١١٥٤م / ٥٤٩هـ وأن هذه الغارة كانت بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور أنظر أيضاً، أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤١٨، وأيضاً، حسن حبشي : تاريخ العالم الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ٢٩١.

وتتيسر بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء وآخر الحروف سين مهمله : بلدة من مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج يقول المقرئزي إنها سميت بتتيس بن حام بن نوح، ويقال بناها قبطيم أحد ملوك القبط في القديم، بينما يشير ابن يسام محتسب المدينة في العهد الفاطمي أن الذي بنى تتيس امرأة هي بنت صالين أحد ملوك القبط؛ أما أبو المكارم فيقول إن تتيس اسم ولد لوطيس بن حريبا وهو صادق، وهناك من يشير إلى أن اسم هذه المدينة مشتق من الكلمة اليونانية ( νεισος νεισος ) ومعناه

الجزيرة، وأنها بالفعل كانت أرضاً تحيط بها المياه من كل جانب، وكان أهلها يعتمدون على البحر في الانتقال من مكان إلى آخر؛ ولم يكن يضارع أرضها في مصر كلها أرضاً أخرى في جودتها وخصبها وغناها وأنها كانت تثبت نباتاً ياتعاً من القمح والنخيل والأعشاب وسائر الشجر، وكانت مدينة لها شيئاً كبيراً من الاتساع والكبر. ويلاحظ التمييز بين تينيس هذه بكسر اللام وتشديد النون، وبين تانيس التي هي صان الحجر بمركز فالقوس الآن بمحافظة الشرقية، وبين تينيس بغير تشديد ويقال لها التينة وهي اليوم باسم اليربا بمركز جرجا بمحافظة سوهاج، وهي مسقط رأس ميناء أول ملوك الفراعنة. ما يهم أن مدينتي تينيس كانت قد بلغت قمة ازدهارها في العصر الفاطمي، وكان لانفراؤها بذلك الموقع الجزري المتطرف الذي يتوسط موانئ مصر في الشمال الشرقي مما جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي: للتفاصيل، انظر:

المقريزي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٦؛ ابن بسام: نفس المصدر، ص ٤١: "تاريخ أبو المكارم المعروف بتاريخ الكنانس والأكيرة في القرن الثاني عشر بالوجه البحري، إعداد الأنبا صموئيل، النعناع للطباعة والتوريدات، القاهرة، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠. وانظر:

<http://WWW.Port Said-online.com/community/viewtopic.php?f=10&t=13837>

40 - تفاصيل هذه الغارة التي أوردها ابن القلانسي يشير فيها إلى أن مقدمي الأجناد في جيش الوزير الصالح طلائع بن رزيق اختاروا مقعاً مشهوداً له بالشهامة والصرامة والبسالة وحسن السياسة، شديد البأس، بصيراً بأشغال البحر. فقام باختيار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج، والبسهم لباس الفرنج، وأنهم في عدة من المراكب الأسطولية، وأقلع في البحر يكشف الأماكن والمكامن المعروفة بمراكب الروم وتعرف أحوالها، ثم قصد ميناء صور، وقد ذكر له أن فيه شخيرة رومية كبيرة، فيها رجال كثير ومال وفير، فهجم عليها وملكها، وقتل من فيها واستولى على ما حوته، وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها وعاد في البحر ففطر بمراكب حجاج الإفرنج فقتل وأسر وانهب، وعاد إلى مصر محملاً بالغنائم والأسرى، انظر: ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢، أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٢، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز سالم، والعبادي: المرجع السابق، ص ١٢٥.

41 - يشير أماري، المرجع السابق، ج ٣، ص ٤١٨، ٤٥٢ إلى أنه نقل هذه الرواية عن ابن الأثير، لكنه عاد فأشار إلى أن ابن الأثير قد أخطأ في نقله لروايته، أو أنه التبس عليه الأمر فقرأ تينيس Tinnis بدلاً من تنس Tenes. وأنها من أرض مصر، وهي في الأساس مدينة جزائرية ذكرها الأريسي تقع على البحر الملح أي المتوسط وبينها وبين مدينة بجاية مرحلة، انظر: الأريسي: المصدر السابق، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

42 - نيجربونت: الاسم الإيطالي لإيبيريا وهي إحدى جزر بحر إيجه تقع في مقابل الساحل الشرقي لليونان. بها سلسلة جبال تحمل نفس الاسم، وقد آلت هذه الجزيرة للبيزنطية بموجب اتفاقية تقسيم الإمبراطورية البيزنطية في عام ١٢٠٤م لكن البنادقة لم يسيطروا عليها تماماً ولم يتخذوها قاعدة لعملياتهم في بحر إيجه إلا بعد عام ١٢١٢م، انظر O D B, VOL, II, P. 1449، وأيضاً محمد عثمان: إيروس وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة طنطا، ١٩٩٧، ص ٨٦، حاشية ١.

43 - Kinamos, j., Deeds of John and Manuel Comnenus, Englis Trans, by. Ch. Brand - 129 - 150. New york, 1976, pp.

Cf. also, Magdalino, D., P. The Empire Manuel I Kamnenus, 1143 - 1185, Cambridge University press, 1993, p. 54, Lille, R. J., Handel und politic zwishen dem byzantinischen Reich und Italienischen komunen venedig, pisa und Genua in der epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204), Amesterdam, 1984, pp. 437-483.

كان قائد الأسطول البيزنطي في هذه المعركة قسطنطين أنجيلوس Konstantin Angilos قد وقع في الأسر بعد هزيمته الساحقة.. انظر أيضاً،

اسحاق عبيد: روما وبيزنطة من قطعة فوشيرس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩ - ١٢٠٤م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٤٩، عيده جمعة مسعود: السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (١١١٢ - ١١٥٤ / ٥٠٦ - ٥٤٨هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بدمهور، ٢٠٠٧م، ص ٧١ - ٧٢.

44 - أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٦.

- 45 - أشار المقرئزي إلى أن هذه الغارة الشديدة والقوية كانت في أغسطس من نفس العام ١١٥٤ هـ / ١١٥٤م وقد نقلها عنه أماري، انظر: المقرئزي: الخطط ج ١، ص ٢١٤. وأيضاً: أماري المرجع السابق، نفس الصفحة.
- 46 - ابن تغريدي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج ٥، ص ٣١٢ - ٣١٣.
- 47 - انتقت كل المصادر العربية بأن عدد السفن النورمانية كان ستون سفينة أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٩٠، المقرئزي، الخطط ج ١، ص ٢١٤، والوحيد الذي خالف هذا الإجماع كان ابن أبيك الدوادري، الذي أشار إلى أن عددها كان خمسون مركباً ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، "الدرة المضينة في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥٦٣. وانظر أيضاً، أماري: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٥، جمعه الجندي: علاقات نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ١٩٤، الحولية، ٢٣ (١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م) مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ص ٧١. أحمد رمضان: تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (٣٥ ٦٥٥ هـ / ٩٧٨ هـ - ١٥٧١م)، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٧-٢٨.
- 48 - قال ابن أبيك الدوادري أن الفرنج "يقصد النورمان" أخذوا جميع من كان بالمدينة، واستأسروا الأقوياء وقتلوا الضعفاء، وغنموا من الأموال ما لا يحصى كنزه، انظر ابن أبيك: المصدر السابق، ج ٦، نفس الصفحة، وانظر أيضاً: محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر ١٢١٨-١٢٢١م/٦١٥-٦١٨ هـ القاهرة ١٩٨٥، ص ٥٩.
- 49 - أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥١. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين، عدد ٢٥٩ لسنة ٢٠٠٦م، ص ٢٩٠-٢٩١.
- 50 - حدث هذا خلال حملتهم على أثينا وكورنثة عام ١١٤٧م وكان قائد الأسطول الصقلي الأميرال سالرنو، انظر Kenamos, op. cit, p. 118: Falcendus, op. cit, p. 173,
- Otto Freising: the deeds of Fredrick Barbarossa, English Trans S. C. C. Mierow, Columbia, 1966., pp. 69-70. also Chalandon, F., Histoire de la domination Normade En Italie et en Sicile, Paris, 1907, vol, II, pp. 136-137.
- 51 - أشار المقرئزي على سبيل الخطأ بأن هذه الحملة قد بعث بها إلى مصر لوجيزين روجار صاحب صقلية، وهو يقصد بالطبع وليام الأول ابن روجر الثاني، انظر:
- المقرئزي: الخطط ج ١، نفس الصفحة، ابن القلانسي: المصدر السابق، نفس الصفحة، وانظر أيضاً، جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٩، وأيضاً، أحمد رمضان: المرجع السابق، ص ٢٨.
- Longnon, les Francias d' Outremer, Essai Sur L'Expansion Francais dans le Bassin de la Mediterranee, paris, 1929, pp. 26 - 28.
- 52 - أشار بعض المؤرخين إلى أن أسطول دمياط تصدي للنورمان حتى ردهم عنها، بل وصل الحد إلى إرسال الأسطول المصري مرة أخرى إلى سواحل الشام عام ١١٥٣ هـ / ١١٥٧م لتهديد الممتلكات الصليبية رداً على هذه الغارة حيث أرسل المأمون البطاحي إلى يافا أسطولاً تكون من أربعين شينياً كما أرسل العادل بن السلار المراكب الحربية إلى يافا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس وكان جملة ما حملة هذا الأسطول ثلاثمائة ألف دينار، انظر:
- ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر لآين ميسر، انتقاء المقرئزي، حققه ووضع فهارسه، أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي للأثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١، ص ١٤٥، وانظر أيضاً، الشيال: المرجع السابق نفس الصفحة، السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص ١٢٦، صفاء حافظ: المواني والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٨٣ - ٨٤.
- Falcendus, op. cit, pp. 78-79, 225.
- 54 - عن الملابس التي أحاطت بسقوط الدولة الفاطمية وإعلان عودة مصر مرة أخرى إلى حوزة الخلافة العباسية السنية، للتفاصيل: ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٣٦٨-٣٧١، ابن شداد: سيرة صلاح الدين المسماة

بالنادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٣-٣٥، وانظر أيضاً: رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٦٣٦-٦٣٨، سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٦ - ٢٧ .  
Falcandus, op. cit, p. 137, Ramuald of Salerno, op. cit, pp. 261 - 262, C. also, 55-  
Loud, op. cit, p. 454, Takyama, op. cit, vol, 1, p. 10.

وأيضاً: عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٧٠.

56 - المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٢١٥. وانظر أيضاً: أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩١، الشيال: المرجع السابق، ص ١٧، جمعة الجندي: المرجع السابق، ص ٨١.

57 - انفرد المقرئزي وحده بهذه الفارة، وإن كان لم يفصل لنا أحداثها بوضوح. انظر: المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١، وانظر أيضاً: أماري: المرجع السابق، ص ٤٩٩، صفى على: مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧٤ - ٧٥.

وفيما يتعلق بالشواني فهي السفن الحربية الكبيرة، وكانت من أهم القطع التي يتكون منها الأسطول في الدول الإسلامية. ويستدل من النصوص التاريخية أن الشواني هي الأصل الذي يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها فمنها الغراب، والطريدة والجفنة والحراقة. للمزيد انظر المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٩٤، وأيضاً عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨، ١٨٢-١٨٣، درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، القاهرة ١٩٧٤، ص ٨٣-٨٥.

58 - يلاحظ أن المقرئزي أشار إلى أن عدد السفن التي هاجمت تيس في هذه الفارة أربعين شينياً وهو نفسه العدد من السفن التي هاجمت تيس في الفارة السابقة التي انفرد بذكرها وحده، ومن المحتمل أنه اختلط عليه الأمر وأنه لم تكن هناك سوى هذه الفارة الأخيرة عام ٥٧٣هـ / ١١٧٧، والدليل على ذلك أنه كان مقتضياً في حديثه عن الفارة الأولى التي ذكرها عام ٥٧١هـ / ١١٧٥ بينما في هذه الفارة الأخرى فقد فصل على نحو ما هو موضح بالمتن وقائعها، وكالعادة فليس هناك أي ذكر لهذه الفارة في المصادر اللاتينية، للتفاصيل، انظر: المقرئزي، الخطط نفس المجلد، نفس الصفحة، وانظر أيضاً: أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩٩، صفى على، المرجع السابق، ص ٧٤ - ٧٥.

وأيضاً Chalandon, f., op.cit, vol, 11, p.393

59 - جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ١٠ - ١١، السيد عبد العزيز سالم والعبادى: المرجع السابق، ص ١٣١.

60 - أشار المقرئزي إلى أن التجار كانوا يركبون السفن من تيس إلى الفرما، ومنها إلى موانئ البحر المتوسط الأخرى، لكن من الواضح أن عمق بحيرة تيس لم يكن يسمح أن تسير فيها السفن ذات الحمولة الكبيرة، وأنها كانت أكثر صلاحية لمرور السفن صغيرة الحجم، انظر:

المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٢١. وانظر أيضاً: البراوي: المرجع السابق، ص ٢٩٦، صفى على: المرجع السابق، ص ٦٩.

61 - النيعقوبى: كتاب البلدان، ليدن، ١٧٩٢، ص ٦١، وأيضاً: إمين فؤاد سيد: المرجع السابق، ص ٣٣٨.

62 - مما يجدر ذكره أن عمال صناعة النسيج والحاقة في هذه المدينة كان معظمهم أو جلهم من الأقباط وكان تعدادهم يصل إلى عشرة آلاف من سكانها وكان لهم كنائس كبيرة على البحر تتبع أسقفية كبرى من أسقفيات مصر، وقد عُد أبو المكارم سجلاً بأسماء خمسة وثلاثون بيعة لليعقوبية مستمرة فيها الصلوات إلى عام ٥٦٧هـ / ١١٧١ للتفاصيل انظر: تاريخ أبو المكارم: المصدر السابق، نفس الصفحات، المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٧٦؛ وأيضاً، سلام شافعي: المؤرخون النصارى في مصر الإسلامية، دراسة في السيرة والمنهج، الأنبا ميخائيل الدمراوي، أسقف تيس وكتابه ذيل سير الأباء البطارقة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ٣٤.

63 - ذكر ابن بسام أن أهل تيس أحبوا نقش الملابس بالصورة والرقم، والتلون بالأصابع، وأنهم كانوا أهل كرم ومزارعة. انظر: ابن بسام: المصدر السابق، ص ٣٧، ٤٠ - ٤١.

64 - كانت هناك عدة أنواع من المنسوجات التيسية المشهورة التي لم يكن لها مثيل في العالم آنذاك نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ثياب الشرب والشروب التي بلغ أحياناً ثمن الواحد منها ألف دينار والذي قال عنه

الإدريسي: "ليس له ما يذنيه في جميع الأرض من الحسن والقيمة. أنظر، "الإدريسي: المصدر السابق، ص ٣٣٨". أما القصب التتيسي فهو نوع من الثياب الرقيقة المهلهلة كالمخل، ولا ينسج في أي مكان آخر في العالم قصب ملون مثله. كما أن هناك البوقلمون الذي يسمى أحياناً القلموني وهو قماش ذو ألوان براق تتلألأ إذا انكسرت عليها أشعة الشمس، وأن لونه يتغير باختلاف ساعات النهار، يضاف إلى ما سبق أنواع أخرى من الأتسجة الشفافة، والأردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة. كل هذا وغيره كثير ساعد على زيادة شهرة المدينة التي أصبحت مناط الأمل لكثير من القوى المحيطة للحصول على تلك الأنواع من المنسوجات أو حتى الحصول على صناعات هذه المنسوجات وخاصة أن معظمهم من النصارى. ولا أدل على أهمية هذه المدينة صناعياً وتجارياً ما أشار إليه ناصر خسرو من أن أحد أباطرة بيزنطة عرض على أحد الخلفاء الفاطميين مائة مدينة مقابل مدينة تئيس وحدها، أنظر:

ناصر خسرو : المصدر السابق، ص ٩٢، ابن بسام : المصدر السابق، ص ٣٧، وأنظر أيضاً البراوي : المرجع السابق، ص ٢٢٦، صفى على : المرجع السابق، ص ١٣٥.

65 - ناصر خسرو : نفس الصفحة، بينما أشار ابن بسام إلى أن تئيس كان بها داراً لصناعة السفن، أنظر، ابن بسام : المصدر السابق، ص ٣٧ .

66 - من أشهر هذه البحيرات الصغيرة المرتبطة بحيرة تئيس الكبرى، بحيرة الزار وبحيرة حصن الماء، وجزيرة تونة والبحيرة النيلية، أنظر: "الإدريسي : المصدر السابق، ص ٣٣٣، ٣٣٥". أما بالنسبة لحصن المدينة الرئيسي فقد تأسس بعد غزو البيزنطيين لدمياط وتئيس عام ٢٣٨هـ / ٨٥٢م في يوم عرفة، حيث دمروا دمياط وخرجوا منها إلى أشقوت تئيس فدمروها، وكان تقاص عنبسة بن اسحاق (٢٣٨-٢٤٢هـ / ٨٥٢-٨٥٦م) والي مصر آنذاك عن مطارتهم عند خروجهم من دمياط وتئيس سبباً في أن يأمر المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) الخليفة العباسي ببناء حصن دمياط وتئيس وحصن القرما على البحر في عام ٢٣٩هـ / ٨٥٣م.. للمزيد أنظر، المقرئزي : الخطط ج ١، ص ١٨٠، ٣١٢، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز سالم والعبادي : المرجع السابق، ص ٤٨، البراوي : المرجع السابق، ص ٣٨١، عطية القوصي: من أخبار المدن الإسلامية المندثرة "تئيس"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٨١، ص ٤١.

67 - صفاء حافظ : المرجع السابق، ص ٢٤ - ٢٥.

68 - لجأ صلاح الدين إلى أسلوب إخلاء المدن من سكانها أو حتى تدميرها كسياسة دفاعية ضد أعداء البلاد من الصليبيين، وقد كرر هذا الأمر في عسقلان في سبتمبر ١١٩١م/ ١٩ شعبان ٥٨٧هـ والرملة والد في ٢٦ سبتمبر ١١٩١م/ ٣ رمضان ٥٨٧هـ أنظر عن هذا:

- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans by, M. J. Hubert, New York, 1991, P. 272; Geoffrey de Vinsof, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronincls of the Crusades, London, 1848, P. 264

وأنظر أيضاً : ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٧٢، المقرئزي : الخطط ج ١، ص ١٨١، وأنظر أيضاً، الشيال : المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧، السيد عبد العزيز سالم والعبادي : المرجع السابق، ص ٢٧٥. وأيضاً:

Lane-poole, Saladin, Lonoden, 1898, p. 326.

69 - المقرئزي : المصدر السابق، نفس المجلد والصفحة. وأنظر أيضاً: الشيال : المرجع السابق، ص ٦٧. ومما يجدر ذكره أن أطلال المدينة تقع الآن على بعد تسعة كيلومترات جنوب غربي مدينة بورسعيد الحالية، ولم يتبق منها بشكل واضح سوى تل تئيس أو كوم تئيس. أنظر: محمد رمزي بك : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة، ١٩٩٤، القسم الأول، البلاد المندثرة، ص ١٩٧ .

70 - صفى على: المرجع السابق، ص ٣٠٤.

71 - Wieruszowski, op. cit, p. 28.

72 - ابن جبير : الرحلة، ص ٢٥٧، وأنظر أيضاً، هوتكه : المرجع السابق، ص ٤١٠، ٤١٣.

وأيضاً: عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٧.

Gabrieli, F., la poltique arabe des Normands de Sicile, SI., 1958, pp. 83,85.

73 - حسن حبشي: المرجع السابق، ص ٢٩١.

- 74 - أمينة الشوربجي، المرجع السابق، ص ٣٨١-٣٨٢.
- 75 - Abulafia, D. Crown and Economy, p. 14.
- 76 - كانت هناك سفن صغيرة شراعية تنقل هذه البضائع عبر النيل مثل العيشاري والسوماري، كذلك كان هناك نوع من السفن التي استخدمت في التجارة بين مصر وصقلية تسمى الهاجم، وهي نوع من السفن مصمم على أساس وجود تجويف واسع للشراب، وهي مستبكرة الشكل، وهناك كذلك الأغربة التي تعني الصندوق، وهي سفن حادة الشكل تشبه سفن الدرمون التي استخدمها الرومان في الشرق .. للتفاصيل، انظر:
- Goitein, op. cit, pp. 33, 39.
- وأيضاً درويش النخيلي: نفس المرجع والصفحة.
- 77 - انظر ما سبق، ص ٩-١٠.
- 78 - Brik, J., Op. cit., P. 23.
- 79 - Falcandus, op. cit, pp. 68.
- 80 - Brik, J., Op. cit., Loc. Cit.
- 81 - ابن جبير: الرحلة، ص ١٩، 78 - 79، Falcandus, op. cit, pp.
- CF. also, Gabrieli, F., op. cit, p. 85, Abulafia, D., The Norman Kingdom of Africa, pp. 41 - 43.
- ، وانظر أيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٨١، ٤٥٧٧.
- 82 - احتل النورمان سوسة وصفاقس وقابس في عام ١١٤٨م / ٥٤٣هـ كما احتلوا مدينة غنابة عام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ بل إن وليام الأول أرسل عشرين شينياً لإخماد ثورة زويلة ٥٥١هـ / ١١٥٨م، ونفقت معظم بلاد أفريقيا باستثناء تونس ومدينة أو مدينتين غيرها الجزية لروجر الثاني، والذي أضاف إلى لقبه لقب "ملك أفريقيا". انظر:
- Abulafia, D., op. Cit, pp. 45, 48.
- وأيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧٠.
- 83 - Abulafia, D., the Two Italies, p. 86.
- 84 - Falcandus, op. cit, p. 225, Romuald of Salerno, op. cit, p. 240.
- وانظر أيضاً، جمعه الجندي: المرجع السابق، ص ٤٦ - ٤٨.
- 85 - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص ٣٠.
- 86 - أشار كلود كاهن إلى تسامح الفاطميين مع التجار الأجانب وأن معظم التجار الإيطاليين ومنهم نورمان صقلية، تردوا على القاهرة بشكل خاص خلال القرن الفاطمي الأول، انظر: كلود كاهن: تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١، ج ٢، ص ٨٧١-٨٧٢.
- 87 - حسبي لبيب: الفندق ظاهرة سياسية واقتصادية وقانونية، ضمن ندوة مصر والبحر المتوسط القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٩٠ - ٢٩١.
- 88 - عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٧٠.
- 89 - أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٤،
- Goitein, op. cit., pp. 33, 39.
- 90 - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص ٢٣، ٢٩.
- 92 - أشار ابن ميسر لهذه المراسلات حينما ذكر أنه في سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م قدم رسول ملك القسطنطينية إلى الصالح طلائع بن زريك يطلب المساعدة وبالتحديد يطلب مراكب نجدة له على صاحب صقلية. انظر: ابن ميسر: المصدر السابق، ص ١٥٦.
- 93 - محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٤٤، عارف الدوري: المرجع السابق، ص ١٤٣، ١٤٦، أماري المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٣، ٤٥٤.



- Travaini, I., The Norman Between Byzantium and The Islamic world, **Dop** . vol , 94  
55 ., 2001 , p. 188.
- Manfroni , C., storia della marina italiana delli invasioni brabriche al trattoto di - 95  
Ninfco , **R O L**, Tome , VII , 1899 , pp 340-342 .
- وأنظر أيضاً، البراوي : المرجع السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ القوصي : المرجع السابق، ص ١٦٢ .
- 96 - في هذه المعاهدة أيضاً تعهدت الحكومة الفاطمية بمنح حمايتها للتجار والحجاج الذين يأتون إلى أراضيها في  
حالة سلمية، ويحرم من هذا الامتياز كل من كان قرصاناً وكل من يسافرون على مراكب حربية، وقد زادهم  
الخليفة الفاطمي العاضد نخبة من المنح والامتيازات الأخرى . أنظر:
- Amari.M, Diplomi arabi del real Archivio Fiorentino , Florence , 1863 (vol , 2 ,  
N.5.p.253) .
- لكن الغريب أن بيزا قامت بدور مزدوج حينما تعاونت مع الصليبيين في الحملة على دميا ١٦٩م / ٥٦٥هـ. أنظر  
كذلك:
- هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة عز الدين إسماعيل، الهيئة العامة للكتاب،  
القاهرة، ١٩٨٥، ج ١، ص ١٤٢، أماري : المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٦، القوصي : المرجع السابق، ص  
١٦٣، أحمد رمضان : المرجع السابق، ص ١٧ .
- 97 - كلوكاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥ ،  
ص ١٦٢، ١٧٧ .
- وقد زاد من وطأة هذه الامتيازات البيزنية في مصر على التورمان، التحالف الذي قام بين بيزنطة وبيزا وجنوة، حيث  
وافق الجميع على ضرب حصار حول صقلية في حوض البحر المتوسط غربه وشرقه. أنظر:
- Codice Diplomatico della Repubblica di Genova , acura dic . Amari, M.,  
Imperiale di sant Angelo (Roma , 1936) , N . 195 ,  
CF . also, Travaini , L . op . cit , loc . cit .
- 98 - كاهن: المرجع السابق، ص ١٧٧ .
- 99 - Davis Sccond , op . cit , pp . 241 , 245 .
- وأيضاً عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص ٣٧، ٦٠ .
- 100- يرى أحد الباحثين المحدثين أن نورمان صقلية قد أسرعوا بالدخول بقوة وشجاعة إلى جانب الحركة الصليبية،  
بل أنه اعتبر أن صقلية برزت كمملكة نتيجة الحرب الصليبية الذاتية، بعد مساعدتهم لويس السابع في طريق  
عودته بعد فشل الحملة خاصة عندما تزل كالابريا. عزيز سوريال عطية: المرجع السابق، ص ٦٠، وكان  
روجر الثاني كما يشير "زابوروف" قد تعهد للويس فقط بتأمين المأكولات ووسائل النقل لجنود الحملة الثانية،  
وكان روجر ينظر لنفسه بإعتباره حامى المسيحية رغم أنه لم يشارك في هذه الحملة بطريقة فعلية. أنظر  
زابوروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦، ص ١٨٠. هذا في  
الوقت الذي أشار فيه "ماستاك" إلى أن جهد روجر في الحملات الصليبية وبالطبع من ورائه أولاده- كان  
جهداً مخلصاً بيد أنه كان جهداً فردياً. أنظر ماستاك: السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ٢٠٠٣،  
ص ٢٦٢ .
- 101 - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص ٢٢٣ عبده جمعة: المرجع السابق، ص ١٧٨، ٢٢٠ .
- Wieruzowski, H., The Norman Kingdom of Sicily and The Crusade , in , Setton , - 102  
History of the Crusade , Penselphania , Philadelphia, U . S . A . , 1962 , vol , II , pp.  
21, 24.
- 103 - وليم الصوري: المصدر السابق، ج ٢، ٨٤٠، ٨٤١؛ وأيضاً: رانسيمن: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٩٠-  
٥٩١ .
- Genevieve , B.B. (ed) le cartulaire Du Saint – Sepulcre De Jerusalem , Paris, 1984, - 104  
Doc N . 157, 164 , pp . 306 -- 307, 316 – 317.
- ٢٠٠٩ يوليو
- ١٠٩١
- العدد الحادي والعشرون

- 105 - Gabrieli, op . cit , p 84 .
- 106 - عن تفاصيل ما حدث للأسطول الصقلي في مياه الاسكندرية ١١٧٤م / ٥٧٠هـ أنظر أبو شامة: المصدر السابق ج ١، ص ٢٢٤ - ٢٣٥، وأنظر أيضاً: أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق ص ٣١.
- Wieruszowski , p . 36
- 107 - جمعة الجندي: المرجع السابق، ١٩-٢٠.
- 108 - Wieruszowski , Sicily and the Crusades, pp . 33 - 34 .
- 109 - عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٨١.
- 110 - أشار ابن الأثير إلى سوابق وليم الأول في الانتقام حين ذكر قوله "إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية، قتلنا المسلمين الذين هم في جزيرة صقلية، وأخذنا حرمهم وأموالهم. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٤٥.
- 111 - أنظر ما سبق ص ٢٩.
- 112 - أماري: المرجع السابق، ص ٤٥٣.
- 113 - 81 - 80 . Falcandus , op . cit , pp . 80 - 81 ؛ أيضاً حسن حبشي، المرجع السابق، ص ٢٩٠.
- 114 - يقول فيليب تاييلور عن نفسية وطباع أولئك النورمان "إذا أدار النورمان أعناق جيادهم فجأة، فقد حاصروا المهاجمين وأعملوا فيهم القتل من كل جانب فلم يتركوا أحدهم حياً". تاييلور: المرجع السابق، ص ٩٢.
- 115 - كاهن: المرجع السابق، ص ١٥٩، وعزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٦٥.
- 116 - كاهن: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- 117 - أنظر ما سبق ص ١٤.
- 118 - ابن جبير: الرحلة، ص ٢٥٦-٢٥٧، وأنظر أيضاً: Kenamos , op . cit , p . 118 .
- Chalandon , op . cit , pp . 703-704 , Brik , op . cit , p . 174 .
- 119 - Davis Secord , op . cit , p . 136 .
- 120 - ابن بسام: المصدر السابق، ص ٣٧، المقرئزي: الخطط ج ١، ص ١٨١.
- 121 - المقرئزي: الخطط ج ١، ص ١٨١.
- 122 - كان الجزء الشمالي الشرقي في مصر يشكل كورة واحدة في أيام الفاطميين تسمى "كورة تيس ودمياط" أنظر ناصر خسرو: المصدر السابق، ص ٩٤؛ أيضاً: الشيال: المرجع السابق ص ١٠، ١٣.
- 123 - المقرئزي: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة. و أنظر أيضاً محمد رمزي بك: المرجع السابق، ق ١، ص ١٩٧.
- 124 - البراوي: المرجع السابق، ص ٢٨١.
- 125 - القوصي: من أخبار المدن المنشرة "تيس"، ص ٤٢.

## قائمة المختصرات

DOP	<i>Dumbarton Oaks Papers</i>
E.H.R	English Historical Review
HSCPH	Harvard Studies in Classical Philology
JNS	Journal of Norman Studies
N. CMH	New Cambridge Medieval History
ODP	Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols, (Oxford, 1991)
PG	Patrologia Graeca
RIS	Reviu Italarum Scriptores
SP	Speculum
SI	Studia Islamica

## أولاً: المصادر

### (أ) المصادر الأجنبية:

- Amari,M. (ed), *Diplomi arabi del real archive Fiorentino* (Florence, 1863).
- , *codice diplomatico della Repubblica di Genova* , a cura dic. Imperiale di sant Angelo ( Roma, 1936).
- Ambroise, *The Crusade of Richard Lion-Heart*, Trans by, M. J. Hubert, New York, 1991.
- Eustasios of Thessaloniki, *Eustathii Thessalonicensis Manueli Comneni Laudatio Fonebris*, PG. cxxxvi.
- H. Falcandus , *The History of The Tyrants of Sicily. by "Hugo Falcandus" 1154 – 1169* , Trans and Annotated by Graham A. loud and Thomas Wiedeman (Manchester And New york , 1998 ).
- Genevieve , B.B. (ed), *le cartulaire Du Sant – Sepulcre De Jerusalem, paris* , 1984.
- Geoffrey de Vinsouf, *Crusade of Richard Coeur de lion*, in *Chronincls of the Crusades*, London, 1848.
- Kinamos , I., *Deeds of john and Manuel Comnenus* , English Trans, CH.Brand (New york, 1976).
- Manfroni , C., *storia della marina italiana delli invasioni brabriche al troato di Ninfeo* , R O L,Tome , VII , 1899.
- Otto of Freising, *The Deeds of Frechick Barbarossa.* , English Trans, C. C. , Mierow ( Columbia , 1966 ).

- Romuald of Salerno , Chronicon , ed. C. A., Gorufi, RIS.7( Bologna , 1935 ).partial English trans by Graham A. Ioud and Thomas Wiedeman (Manchester And New york , 1998 ).
- William of Tyre, *Historia rerum in paribus Transmarini gestarum a Tempore successorum Mahumeth Usuque ad annum domini MCCXXXIV* , ed. R. H. C. H. OCC. Tome. I, paris 1844.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار" نقله إلى العربية د/سهيل ذكار، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

### (ب) المصادر العربية :

- ابن الأثير: ( ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ) أبو الحسن علي بن أبي الكرم: "الكامل في التاريخ"، ١٢ جزء، بيروت، ١٩٨٢ م.
- ابن أيبك ( ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٣ م ) أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: "كنز الدر وجامع الغرر"، الجزء السادس: الدرّة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ابن بسمال التنيسي: (تاريخ الوفاة غير معروف) محمد بن أحمد بن بسمال المحتسب التنيسي: أنيس الجليس في أخبار تنيس، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ابن تغر بردي (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردي الأتابكي: "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ١٥ جزء، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ٢٠٠٨ م.

- ابن جبير ( ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي:  
" رحلة ابن جبير " ، ضبطه ووضع فهرسه الدكتور محمد زينهم، دار  
المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ) أبو العباس شمس الدين أحمد بن  
خلكان:  
"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ، حققه الدكتور إحسان عباس، ٨ مجلدات،  
دار الثقافة بيروت، لبنان، د. ت.
- ابن شداد ( ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م): بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف  
بأبن شداد:  
" النواير السلطانية والمحاسن اليوسيفية " ، مكتبة نهضة مصر، ١٩٨٨م.
- ابن القلانسي: ( ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ) أبو يعلى حمزه بن أسد التميمي:  
"ذيل تاريخ دمشق" ، نشره أ. أمدورز، بيروت، ١٩٠٨م.
- ابن ميسر ( ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م ) تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن  
جلب راغب:  
"المنتقى من أخبار مصر" ، انتقاها تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، حققه  
وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه الدكتور أيمن فؤاد سيد، القاهرة،  
١٩٨١م.
- أبو شامة ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ) شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن  
بن اسماعيل:  
" الروضتين في أخبار الدولتين " ، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- أبو المكارم:  
تاريخ أبو المكارم المعروف " بتاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني

عشر بالوجه البحري"، الجزء الأول، إعداد الأنبا صموئيل، النعام للطباعة والتوريدات، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الإدريسي (ت ٥٦٤هـ / ١١٦٨ - ١١٦٩م) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالشريف الإدريسي:

"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد:

"كتاب الاعتبار"، تحقيق فيليب حتى، الولايات المتحدة، برنستون، ١٩٣٠م.

- المقرئزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي:

"كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

- "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"، تحقيق محمد حلمي محمد، ثلاثة أجزاء، نشره المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- المقدسي (عاش في ق ٤هـ / ق ١٠م) شمس الدين أبو عبد الله البشاري المقدسي:

"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ط ٣، القاهرة، ١٩٩١م.

-ناصر خسرو على (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) أبو معين الدين :

سفر نامه، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.

-اليعقوبي:(ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح:

كتاب البلدان، ليدن، ١٧٩٢.

## ثانيا: المراجع

### (أ) المراجع الأجنبية :

- Abulafaia , D. , *The Crown and the Economy under Roger II and his successor* , DOP. vol , 37 , 1983 , pp. 1 – 14.
- The Norman kingdom of Africa and the Norman expeditions to Majorca and Muslim Mediterranean* , ANS , VII , 1985, pp. 26 – 49.
- The Two Italies, Economic relations Between The Norman Kingdon of Sicily and the Northern communes*; Cambridge university Press, 1977.
- Brik , J. C. , *Sicilian counterpoint : power and pluralism in Norman Sicily* , Uniniversity of California , 2006.
- Chalandon , F. , *Histoire de la domination Normade en Italie et en Sicile* , 2 vols , paris , 1907.
- Chiarelli , L. C. , *Sicily During the Fatimid age* , University of Utah , 1986.
- Davis – Sccond , S. C. , *Sicily and the Medieval Meditrranean , communication Networks and inter – regional exchange*, Notre Dame , Indiana , U. S. A., 2007.
- Drell , J. H. , *Marriage , kinship , and power family structure in principality of Salerno under Norman rule* , 10 77 – 1154 Brown University , 1996.
- Gabriell F. , *La politique arabe des Normands de Sicile*, SI, I ,pp.83-96, 1958.
- Goitein , S. D. , *From the Mediterranean to India , Document on Trade to India , south Arabia , and East Africa from the Eleveuth and twelfth Centuries*, Sp. vol 39, PP. 18-197, 1954.
- Haskins , CH. , *The Norman in European History* , Cambridge, Mass, 1915.
- Haskins. CH.; Lockwood , D. P. , *The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's Almagest* , in **H. S. C. Ph.** voL , 21 , 1910 , pp. 75 – 102.
- Johnes , J., *The Norman Kingdom of Sicily and the Fatimid caliphate* , ANS , Tom. 15 , 1992, PP. 133-159.



- Koenigsberger , H. G. , (ed) , A history of Sicily; Medieval Sicily (800/1713) ; Modern Sicily after 1713, by Denis Mack Smith, **EHR.** vol, 85, N. 336 (july. 1970) pp. 560 – 562.
- Lane-poole, Saladin, London, 1898.
- Lille, R. J., Handel und politic zwishen dem byzantinischen Reich und Italienischen komunen venedig, pisa und jenua in der epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204), Amesterdam, 1984,
- Loud , G. A ; Norman Sicily in the Twellth Century , **NCMH** vol 17 , part II , 1908 pp. 442 – 474.
- Longnon , J., les Francias d'outre-mer, Essai sur l'expansion francais dans le Bassin de la Mediterranee , Paris , 1929.
- Magdalino , P. , The Empire Manuel I Komnenos , 1143 – 1180 , Cambridge university press , 1933.
- Takayama , H.; Exploring Amedieval kingdom of Sicily and ; its administration, Yale University, 1990.
- Travaini , L. , The Normans Between Byzantium and Islamic world , **DOP** ; voL 55 , 2001 , pp. 179 – 196.
- Wiersuzowaki , H. , Roger II of Sicily , Rex – Tyranus , in Twelfth Centuy plotical thaught, **Sp.** voL 38, N. I ( jan. 1963 ), pp. 46–78.
- The Norman Kingdom of Sicily and the Crusade, in Setton, History of the Crusade, Pensilphania, Philadelphia, USA, 1962, vol, II, pp. 3–24.

### (ب) المواقع الإلكترونية:

<http://WWW.PortSaid-online.com/community/viewtopic.php?f=10&t=13837>

### رابعاً : المراجع العربية :

- أحمد رمضان (الدكتور) تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (٣٥ هـ - ٦٥٥ م / ٩٧٨ هـ - ١٥٧١ م) مشروع المائة كتاب، العدد ٧، القاهرة، ١٩٧٧.
- اسحاق عبيد (الدكتور): روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (٨٦٩ - ١٢٠٤ م) دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

- أمينة أحمد الشوريجي (الدكتور): رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) القاهرة، ١٩٩٤ م.
- أيمن فؤاد سيد (الدكتور): الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧ م.
- تقي الدين عارف الدوري (الدكتور): صقلية، علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨٠ م.
- جمال الدين الشيال (الدكتور): مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- جمعة مصطفى الجندي (الدكتور): علاقات نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية ٢٣ (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م).
- حامد زيان غنيم (الدكتور): العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية (٤٩٠ - ٦٥٩ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٦١ م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٣ م.
- حسن حبشي (الدكتور): تاريخ العالم الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين، عدد ٢٥٩، لسنة ٢٠٠٦ م.
- درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة نهضة مصر، ١٩٤٨ م.

- رانسيमान. س: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.
- زابوروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦.
- سلام شافعي (الدكتور): المؤرخون النصاري في مصر الإسلامية، دراسة في السيرة والمنهج، الأنبا ميخائيل الدمراوي أسقف تنيس وكتابه (ذيل سير الأبياء البطارقة) منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥م.
- سبمينوف. أ. : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسين بيومي، القاهرة، ٢٠٠١م.
- صبحي لبيب (الدكتور): الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية، ضمن ندوة مصر والبحر المتوسط، القاهرة، ١٩٨٦م.
- صفاء حافظ عبد الفتاح (الدكتور): الموائى والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- صفى على (الدكتور): مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن الرافعي وسعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ١٠ مجلدات، المملكة المغربية، ١٩٧٧. المجلد الخامس.
- عثمان العكاك: مسلك القاهرة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - أبريل) دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١، ص ٧٧٩-٩١١.

-عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبي، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٠م.

-عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م .

-عطية القوصي (الدكتور): من أخبار المدن الإسلامية المندثرة "تيس"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٨١م .

\_\_\_\_\_ مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط، ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٨٦م.

-عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٨-١١٧١م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٤٨م.

-عبد جمع مسعود: السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (١١١٢ - ١١٥٤م / ٥٠٦ - ٥٤٨هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بدمنهور، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٧م.

-فيليب تايلور: قصص العقول، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٥٦، ٢٠٠٠م.

-كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

\_\_\_\_\_ : تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس-أبريل) دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١.

-توماس ماستاك: السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠٣.

-محمد جمال الدين سرور (الدكتور): سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

-محمد رمزي بك: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الأول، البلاد  
المندرسية، القاهرة، ١٩٩٤م.

-محمود سعيد عمران (الدكتور): الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين  
على مصر ١٢١٨-١٢٢١م/٦١٥-٦١٨هـ، دار المعارف، القاهرة،  
١٩٨٥.

-تاريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٣.  
-هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة عز  
الدين اسماعيل، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٨٥م.

-هونكه. ز: شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"  
نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع  
حواشيه، فاروق عيسى الخوري، دار الآفاق، بيروت، ط ٦، ١٩٨١م.

